V 501

كتاب كنه المراد في بيان بانت سعاد
للعالم العلامه العمدة الفهامه
شهاب الدين احمد بن حجر
الهيتمي المكي الشافعي
رحمه الله تعالى
امين
م

BIBL.
VNIVERS.
LIPS.

D. C. 104.
52 Bl.

شرح بانت سعاد للامام العلامه ابن حجر المكي الهيتمي
رحمه الله تعالى ونفعنا به وللمسلمين اجمعين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل قصيدة كعب علي ناظمها ابرك كعب
وانطقه بذكر سعاد فتعاولا فتفاز من الاسعاد بما
سهل عليه من حراق الرشاد كل صعب وافاض علي المداح
صيب سيبه المنهمر فمن مغترف بكف وما نح بدلو وناز ح
بغرب واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة
تجنب قائلها موارد الاكدار وتحمي منتهلها عن مواقع السوء
في الدارين فتحقق الرما من السيف وتصون الوجوه من النار
واشهد ان سيدنا محمدا عبده ورسوله الذي جذب بمغناطيس
القلوب محبته القلوب فالفها بعد النفار وعرف بالعفو
والصفح لذي القدرة فامن الخايف واسرع اليه المقار وعلي
اله واصحابه الذين بايعوا في محبته الاخلاص فسموا الي رتب
الكمال وتنوعت في طلب رضا مقاصدهم فمن مادح بلسان
وزاير بسيف وجايد بمال صلاة تفوق بهجتها جميع المدايح
ويترقب لها اسنى الجوايز فيظهر قايلها باكرم المنايح وبعد
فلما كان المدح ارفع مقاصد الشعر واعلاها وانفعها واغلاها
اذ هو راس مال الشاعر الذي يعول عليه ومقصده الذي
يرجع في التوسل للمقاصد السنية اليه وكان مبناه علي
المبالغة في الذي لا يليق بمقام النبوة تعاطيه مما فيه
عما لا يليق بجلالة قدره وعوضه سبحانه من ذلك بان جعل كثيرا
مطبقين علي مدحه مسارعين اليه مشافهين في الاكثار منه
متكلين عليه حتي ملئت بمدحه الدواوين وشحنت فيها الدفاتر
وجمعت بكثرة الاقلام وتفردت دون نفاده المحابر وكان قصيدة
كعب

الغرب الدلو الكبير

كعب ابن زهير المعروفة ببانت سعاد هي افضل المدايح عقدا
واعلاها مقاما واعذبها وردا انشدت بين يديه صلي الله عليه
وسلم فنالت اعلا المفاخر وقطعت بالتقدم في الفضل علي ما يعرفها
ما ترك الاول للاخر وكانت الشروح الموضوعة عليها فيما وقفت
عليه قاصرة علي شرح غريبها واعراب الفاظها المؤدية الي
حل تركيبها دون التعرض لمعانيها التي هي قصد طلابها واعربت
مقدميتي شرح غريبها واعرابها اقتضت اشارة بعض اخواني
في الله تعالي مقاس تاثيرها عنه ولا يسمع مخالفته ان اقتضت
عليها شرحا يجمع الي حل الفاظها وبيان معانيها وتعريب ما يعز
تناوله من ثمار مقاصدها المتر اكبة لاقتطاف جانيها فاستخرت
الله تعالي وبادرت الي ما اشار علي الوجه الذي يقصد والمعني
الذي يريد متيمنا في ذلك ورايي السعيد سعيد وسميته كنه المراد
في بيان بانت سعاد واني الله تعالي ارغب ان يجعله وسيلة الي الممدوح
بها في الشفاعة في الحشر وامانا من النار اذا اشتد الخوف يوم الفزع
الاكبر وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه انيب تمهيد ولا بد للمتصدي عن
هذه القصيدة قبل الخوض في شرحها من الاحاطة بثلاث مقاصد
المقصد الاول في ترجمة ناظمها رضي الله تعالي عنه هو ابو المطل
كعب ابن زهير ابن ابي سلمي بضم السين واسمه ربيعة ابن رباح
بالراء المهملة والباء اخر الحروف المزني من مزينة ابن اد ابن طابخة
ابن الياس ابن مضر ابن معد ابن عدنان قال الحافظ ابو عمر ابن
عبد البر رحمه الله تعالي وما وقع من انتها هذه النسبة الي غطفان
غلط مستنده ان زهيرا وبنيه كانت محلتهم بني غطفان فوقع
الظن انهم قال كان كعب رضي الله عنه من فحول شعراء
العرب المجيدين والمعدودين المقلقلين ومن مستحسن شعره يقول
لو كنت اعجب عن شيء لاعجبني سعي الفتي وهو مخبوء له القدر

يسعى الفتى لامور ليس يدركها ۞ النفس واحدة والهم منتشر ۞
والمرء ما عاش ممدود له امل ۞ لا تنتهي العين حتى ينتهي الاثر ۞

ومن شعره

فان تسالي الاقوام عني فانني ۞ انا ابن ابي سلمى على زعم من زعم ۞
بلغ انا ابن الذي قد عاش تسعين حجة ۞ فلم يخز يوما في معد ولم يلم ۞
اقول شبيهات بما قال عالما ۞ برهن ومن يشبه اباه فما ظلم ۞

المقصد الثاني في سبب نظمه في هذه القصيدة ذكر اصحاب السير انه كان لكعب اخ اسمه بجير فخرج هو واخوه الى ابرق العراق وهو رمل بالحجاز لبني سعد بالقرب من زرود فقال بجير لكعب اثبت في الغنم حتى ياتي هذا الرجل يعني النبي صلى الله عليه وسلم فاسمع كلامه واعرف ما عنده فاقام كعب ومضى بجير فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمع كلامه فامن به وذلك ان زهيرا اباهما فيما زعموا كان يجالس اهل الكتاب وسمع منهم انه قد آن مبعث النبي صلى الله عليه وسلم انه يبعث في اخر الزمان ورأى زهير في منامه انه مر بسبب من السماء وانه مد يده ليتناوله فعاقه فتناوله النبي صلى الله عليه وسلم وانه لا يدركه واخبر نبيه بذلك واوصاهم ان ادركوا ذلك وهو النبي صلى الله عليه وسلم ان يسلموا فاسلم بجير فعند ذلك شق اسلام بجير على اخيه كعب فكتب اليه بهذه الابيات

الا ابلغا عني بجيرا رسالة ۞ فهل لك فيما قلت ويحك هل لكا
سقاك بها المامون كاسا روية ۞ فانهلك المامون منها وعلكا
ففارقت اسباب الهدى وتبعته ۞ على اي شيء ويب غيرك دلكا
على مذهب لم تلق اما ولا ابا ۞ عليه ولم تعرف عليه اخا لكا
فان انت لم تعرف فلست باسف ۞ ولا قائل ان ما عثرت لعا لكا

وارسل بها الى بجير فلما وقف عليها اخبر به النبي صلى الله عليه وسلم فلما سمع رسول الله عليه وسلم قوله سقاك بها المامون قال ما مامون والله وكانوا يسمون رسول الله صلى الله عليه وسلم الامين فقال من

لقي كعب ابن زهير فليقتله فكتب اليه اخوه بجير هذه الابيات **شعر**

من مبلغا كعبا فهل لك في التي ۞ تروم بها باطلا وهي اعزم ۞
الى الله لا العزى ولا اللات بعدما ۞ تبينت اذ كان النجاة فتسلم ۞
لدى يوم لا ينجو ولا يفلت ۞ من الناس الا طاهر القلب مسلم ۞
فدين زهير وهو لا دين دينه ۞ ودين ابي سلمى على محرم ۞

وكتب بعد هذه الابيات يخبره ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اهدر دمه وانه قتل رجالا بمكة ممن كان يهجوه ويوذيه وان من بقي من شعراء قريش كابن الزبعري وهبيرة ابن وهب قد شردوا في كل جهة وما اصبحك تاجيا فان كان لك في نفسك فطرة اليه فانه يقبل من اتاه تايبا ولا يطالب بما تقدم في الاسلام فلما بلغ كعب الكتاب اتى الى قبيلة مزينة لبجير من رسول الله صلى الله عليه وسلم فابت ذلك فضاقت عليه الارض بما رحبت واشفق على نفسه وارجف به من كان من عدوه فقالوا هو مقتول فقال هذه القصيدة يمدح فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ويذكر خوفه وارجاف الوشاة به من عدوه ثم خرج حتى وصل الى المدينة فنزل على رجل من جهينة كانت بينه وبينه معرفة فاتى به الى المسجد ثم اشار الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقم اليه واستامنه وعرف كعب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصفة التي وصفه له بها الناس وكان مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم من اصحابه مثل موضع المائدة من القوم يتحلقون حوله حلقة ثم حلقة فيقبل على هؤلاء فيحدثهم ثم يقبل على هؤلاء فيحدثهم فقام اليه كعب حتى جلس بين يديه فوضع يده في يده ثم قال يا رسول الله ان كعب ابن زهير جاء ليستامن منك تائبا فهل انت قابل منه ان انا جئتك به قال نعم قال يا رسول الله انا كعب ابن زهير فقال الذي يقول ما يقول ثم اقبل على ابي بكر فاستنشده الشعر فانشده ابو بكر سقاك بها المامون كاسا روية البيت

فقال لم اقل هذا وانما قلت سقاك ابو بكر بكاس روية وانهلك المامون
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مامون والله فوثب عليه رجل من
الانصار فقال يا رسول الله دعني وعدو الله اضرب عنقه فقال دعه
عنك فانه قد جاء تايبا فازعا ثم انشد القصيدة بين يدي رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو يسمع وفي رواية ابي بكر ابن الانباري انه لما وصل
الى قوله ان الرسول لسيف يستضاء به مهند من سيوف الله مسلول
فخلعها رسول الله صلى الله عليه وسلم بردة كانت عليه وان معاوية
ابن ابي سفيان رضي الله تعالى عنه بذل لها عشرة الاف درهم فقال
ما كنت اوثر بثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم احدا فلما مات كعب رضي
الله عنه بعث معاوية الى ورثته بعشرين الفا فاخذها منهم وهي
البردة التي عند السلاطين الى اليوم وفي الاستيعاب لابن عبد البر انها
بلغ الى قوله انبئت ان رسول الله اوعدني والعفو عند رسول الله مامول
اشار رسول الله صلى الله عليه وسلم الى من حوله ان اسمعوا **المقصد**
الثالث في بيان ترتيب هذه القصيدة وسيقها التي سبقت عليها
اعلم ان كانت عادة اكثر شعراء العرب انهم اذا اتوا بقصيدة مدح افتتحوها
بالنسيب وهو المعبر عنه بالغزل وهو عند المحققين من اهل الادب
بيت يشتمل على اربعة انواع النوع الاول ذكر ما في المحب من الصفات
التي هي اسباب المحبة الدالة على المحبة كالشغف والنحول والذبول
والحزن والارق ونحو ذلك النوع الثاني في ذكر ما في المحبوب
من الصفات التي هي اسباب المحبة سواء كانت حسية كحمرة الخدود
ورشاقة القد وما في معناها او معنوية كالجلالة والحقد وما
اشبه ذلك ويسمى هذا النوع من النسيب تشبيبا ايضا النوع
الثالث في ذكر ما يتعلق بالمحب والمحبوب جميعا من هجر ووصل
ووصل وسلوى واعتداد ووفا واختلاف ونحو ذلك النوع
الرابع في ذكر ما يتعلق بغيرهما بسببهما من الوشاة والرقبا
ونحوها

ونحوها قال الناظم رحمه الله تعالى قدس سره في قصيدته قبل التخلص
الى المدح بالانواع الاربعة وذلك ان القصيدة اشتملت على
سبعة وخمسين بيتا فابدا بالنوع الاول بذكر حال نفسه وما
عراه بسبب الفراق في البيت الاول بقوله بانت سعاد ثم اخذ
في ذكر النوع الثاني وهو ما يتعلق بمحبوبه فشبها بالظبي الموصوف
بحسن الصفات في البيت الثاني بقوله وما سعاد غداة البين
اذ رحلوا الا اغن البيت ثم ذكر ثغرها وريقها وشبهه بالراح
في البيت الثالث ثم ذكر مزج الراح بالماء واستطرد في وصف ذلك
بالماء ثم الابطح الذي اخذ منه الماء في البيت الرابع ثم اكمل وصف
ذلك الابطح في البيت الخامس ثم اخذ في ذكر النوع الثالث
وهو ما يتعلق بهما جميعا فذكر اخلافها الموعد وعدم قبولها
النصح في البيت السادس بقوله اكرم بها خلة لو انها صدقت
موعودها البيت ثم اكمل ذلك في البيت السابع ثم وصفها بالسلوى
في الود في البيت الثامن ثم وصفها بعدم الوفا بالعهد في البيت
التاسع ثم اكد بعد ذلك فاخبر بان ما تعده اماني لا حقيقة لها
في البيت العاشر ثم ضرب لها مواعيد عرقوب مثلا في البيت الحادي
عشر ثم لام نفسه بالتعلق بمواعيدها في البيت الثاني عشر
ثم ذكر بعد ما بينه وبينها من المسافة في البيت الثالث عشر
ثم ذكر انه لا يبلغه اليها الا ناقة من صفتها كذا وكذا واطال في وصفها
على عادة العرب في ذلك من اول البيت الرابع عشر الى اخر البيت
الثاني والثلاثين فاستوفا في وصفها تسعة عشر بيتا ثم اخذ في
ذكر النوع الرابع وهو ما يتعلق بغيرهما بسببهما لذكر الوشاة
وحاله معهم في البيت الثالث والثلاثين بقوله سمع الوشاة البيت
واستطرد في ذلك الى اخر البيت الخامس والثلاثين وهو اول الغزل
ثم تخلص الى المدح في البيت السادس والثلاثين بقوله انبئت ان

رسول الله اوعدني البيت واستظهر في ذلك الي اخر البيت الثامن والاربعون
ثم شرع الي مدح المهاجرين من اصحابه رضي الله عنهم في البيت التاسع والاربعين
ولم يتعرض فيها لمدح الانصار قيل لانه وجد في نفسه من الذي قال منهم
دعيني يا رسول الله وعد والله اضرب عنقه علي ما تقدم ذكره فان صح ذلك
فيكون قوله ارتجالا للوقت ولا يبعد ذلك لان من تحول الشعرا علي ما تقدم
ذكره خصوصا وقد حصل له الامداد النبوي والاسعاد الحدري ويقال
ان النبي صلي الله عليه وسلم قال له بعد ذلك لو ذكرت الانصار بخير
فان الانصار لذلك اهل فقال شعرا

من سره كرم الحياة فلا يزال ٭ في معشر من صالح الاذكار
ورثوا المكارم كابرا عن كابر ٭ ان الخيار هم بنوا الانصار
المكرمين بالسمهري باذرع ٭ كسوا القنا الهندي غير قصار
والبايعين نفوسهم لنبيهم ٭ الموت يوم تعانق وكرار
والناظرين باعين محمرة ٭ كالجمر غير ليلة الابصار
يتطهرون بروية ٭ بدماء من علقوا من الكفار

في ابيات اخر تركتها خوف الاطالة واقتصرت علي ذلك

البيت الاول

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول ٭ متيم اثرها لم يفد مكبول

يقال بانت المراة من زوجها اذا فارقته وهو معروف في عرف الشرع
بالطلاق غير الرجعي وسعاد اسم لمحبوبته التي هي مطلع القصيدة
علي التشبيب بها والغزل فيها كما كان مجنون ليلي يشبب بليلي
واكرمه يشبب بمي وقيس يشبب بلبني وكثير يشبب بعزة الي
غيرهم من المتيمين في الجاهلية والاسلام والقلب في كلامه يحتمل
معنيين الاول ان يريد به الفؤاد وهو الظاهر ومنه قوله تعالي
وختم علي سمعه وقلبه ومحله من البدن الصدر قال تعالي فانها
لا تعمي الابصار ولكن تعمي القلوب التي في الصدور ومحله من الصدر
الجانب

في قوله في قصته في ترتيب البيت واستظهر في ذلك الي اخر البيت العقيدة صح

الجانب الايسر منه قال بعض اهل الحقايق وهذا هو السر في كون الطايف
يجعل البيت علي يساره ويطوف لان القلب كالملك في الجسد والبيت كالملك
في الارض فاذا جعل البيت علي يساره وطاف كانه قد جمع بين الملكين في جهة
واحدة قال اهل التشريح وهو جسم منوبري الشكل لحمي الجوهر له جوف
يجري الدم والروح الحيواني ومنه ينصب في الشرايين وهي عروق دقاق
فيسري منها الي جميع البدن وبينه وبين الدماغ شعبة دقيقة متصلة
بعشاية منبثة في جميع جرمه يدرك به القوي الحيوانية التي تنفعل
بالانفعالات النفسانية كالغضب والخوف والحزن والسرور بواسطة
ان الحواس يدركها من الخارج فتؤديها الي النفس فتصل اثارها بالقلب
فينفعل عنها قال الغزالي في الاحياء وهذا القلب لا تعلق له بالاعراض الدينية
وانما يتعلق بذلك عرض الرطبا وهذا القلب موجود للبهايم بل للميت فانه قطعة
لحم لا قدر لها وهي من عالم الملك والشهادة اذ تدركه البهايم بحاسة البصر فضلا
عن الادميين بل المراد بالقلب عندنا لطيفة ربانية
روحانية لها بهذا القلب الجثماني تعلق وهذا ذلك اللطيفة هي حقيقة
الانسان وهو المدرك العالم العارف وهو المخاطب والمطالب والمعاقب
قال وقد تحار عقول اكثر الخلايق في ادراك وجه علاقتها بالقلب الجثماني
فان تعلقها به يضاهي تعلق عرض بالاجسام والاوصاف بالموصوفات
او تعلق المستعمل للاداة بها والتمكن بالمكان الثاني ان يريد بالقلب العقل
كما في قوله تعالي ان في ذلك لذكري لمن كان له قلب ويكون المعني حينئذ
ان عقله من شدة الحب وغلبة العشق قد ضعف حتي صار كالولهان
الهايم الذي لا يفيق ولا يصحي واليوم المراد به هنا مطلق الزمان كما في
قوله تعالي واتوا حقه يوم حصاده وقوله يومئذ يفرح المؤمنون بنصر
الله ينصر من يشا ونحو ذلك والمتبول بفتح الميم واسكان التا المثناة من فوق
وضم الباء الموحدة الفاني من شدة الضنا والسقم يقال تبله الحب وابتله اذا
استقله وتبلهم الدهر وابتلهم اذا افناهم قوله متيم اثرها لم يفد مكبول

اي فقلبي اليوم متبول علي ما تقدم متيم اثر سعاد ولم يفد من اسرها مكبول
في هواها والمتيم المستعبد الذليل يقال ابتره الحب وتامه اذا استعبده
وتامه واذله والمراد هنا الاسر بدليل قوله فيما بعد ثم يفد والاثر في كلامه
بكسر الهمزة واسكان الثاء المثلثة محل المشي وموضع القدم من الارض
ويقال فيه اثر بالتجريد كقوله تعالي ونكتب ما قدموا وآثارهم ومعني لم يفد
لم يقع له فداء من اسره الذي وقع فيه اما بمعني انه لم يجد من يفديه ويخلصه
من الاسر واما بمعني انه لم يختر الفداء بل كان اسر المحبة اليه احب ويروي لم يشف
بدل لم يفد بمعني انه بعد بثل قلبه ومرضه لم يجعل له شفاء منه ويهون ذلك
عليه عايد علي قوله متبول متيم متبول لا علي قوله متيم والمكبول بفتح الميم
واسكان الكاف وضم الباء يحتمل بتعبيرين احدهما ان يريد به القيد يقال كبل
الاسير بالتخفيف وكبله بالتشديد اذا قيده الثاني ان يريد به المسجون يقال
كبله بالتخفيف اذا حبسه في سجن او غيره والمعني ان قلبه بسبب فراق
محبوبته صار في غاية الضنا والسقم والاسر والذل والقيد والسجن
لا يجد له هربا من الاسر ولا فكاكا من الرق وذلك انه لما كان مبني ابتداء هذه
القصيدة علي الغزل والنسيب جريا علي عادة اكثر الشعراء في ابتداء قصايد
المدح بمثل ذلك علي ما تقدم ذكره في مقدمة هذا الشرح وكان من جملة
انواع النسيب ذكر ما في المحب من صفات المحبة والشغف ونحوه علي ما
تقدم بيانه مع ان تاجيج نار المحبة وتهييج بلابل الشوق انما يعظم
ويشتد عند حصول الفراق صدر كلامه بذكر الفراق المقتضي ذلك ليترتب
عليه ما ياتي عليه من لوازم المحبة وعوارضها ولا شك ان فراق الاحبة
من اشد الالام واعظم الاحزان وناهيك ما اخبر الله تعالي به عن يعقوب
عليه السلام في فراقه ليوسف بقوله فتولي عنهم وقال يا اسفي علي يوسف
وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم قيل ما عمت عينا يعقوب عليه السلام
من حين فراق ليوسف الي حين لقايه ثمانين عاما ورحم الله القايل
اني لاكره ان انام فاتقي ٭ بك في الكرا خوف الفراق الثاني ٭

ويروي

ويروي ان الحسين رضي الله عنه بكا علي ولد او غيره فقيل له في ذلك
فقال ما رايت الله تعالي جعل الحزن عارا علي يعقوب ومن المعاني المستحسنة
اما قيل ان الشمس تحمر عند الطلوع لمعني اللقا وتصفر عند الغروب لمعني الفراق
ولذلك يشير ابو العباس الضبي بقوله ٭

لا تركنن الي الفراق ٭ فانه مر المذاق ٭
فالشمس عند غروبها ٭ تصفر من الم الفراق ٭

ومن كلام بعضهم ما خلق الله الفراق الا لتعذيب العشاق وكان يقال حق الفراق
ان تطير له القلوب وتطيش معه العقول وتطيح معه النفوس ويقال هول
الساق اهون من الم الفراق ومن كلام النظام لو كان الفراق صورة لراعت
القلوب وهدت الجبال ولجم الفضا اهون توبيخا من نار الفراق ولله در ابو تمام
الطايي حيث يقول ٭

لو حار مرتاد المنية لم يكل ٭ عن الفراق الي النفوس دليلا ٭
انا نظرت الي الفراق فلم اجد ٭ للموت لو قصد الفراق سبيلا ٭

وما احلي قول الطغراي شعر ٭

اني لاذكركم وقد بلغ الظما ٭ مني فاشرق بالزلال البارد ٭
واقول ليت لحبيبي عاينتهم ٭ قبل الممات ولو بيوم واحد ٭

ثم لما ذكر الفراق اشار الي ان قلبه عرض له بسبب ذلك عوارض من منغصات تجب
تاثرها وخص ذلك بالقلب دون ساير الجسد اشارة الي ان القلب هو المؤثر بالمحبة
وعنه تنشا عوارضها من الضنا والسقم وغير ذلك قال الزمخشري لا شي في بدن
الانسان الا نفس الفواد ولا اشد تالما باذاه اذا المسه وايضا فان القلب هو
المعتبر والمعول عليه في الجسد وساير الاعضا اتباعه قال بعض الحكما القلب ملك
الاعضا وجميع الجوارح جنوده والاعضا تخدمه فالعقل وزيره والفهم حاضنه
والعينان رايده والاذنان خليفته علي ان بعضهم قد خالف فجعل ابتداء الحب انما ينشا عن
القلب بواسطة الفكر دون الحواس والي ذلك يشير بشار بقوله ٭

وما ابتصر العينان في موضع الهوي ٭ ولا سمع الاذنان الا من القلب ٭

ثم قد ذكر ان عرض لقلبه بسبب الفراق اربع عوارض الاول التبتل وهو المراد
بقوله متبول فان حملنا القلب في كلامه على الفؤاد كان المراد بالتبتل الضنا والسقم
كما تقدم ذلك وذلك انه استولى عليه الحب وغلب عليه العشق وعراه
السهر وتقليل الطعام والشراب واستولى عليه الفكر والوسواس فربما عرض له من
ذلك دوائر الضنا والسقم في قلبه وسري منه الى سائر بدنه قال الاحنف ابن
قيس بينما انا اطوف واذا بثلاث جواري اتراب فرنت احداهن الي وقالت
يا ابي البشرات القايل ماذا لقيت من الهوى وعذابه فتحت علي بلية من بابه
فقلت نعم فقالت كذبت والله لو كنت عاشقا لكنت مثلي وكشفت عن اشباح
عارية من اللحم وانشأت تقول

اذا ما شكوت الحب قالت كذبتني فما لي ارى الاعضا منك كواسيا
فلا جسم يضنى فاذهب حتى يلصق الجسم بالحشا وتخرس حتى لا يجيب المناديا
بل ربما ادى به الحب الى الموت والهلاك كما اتفق لكثير من المتيمين وكتاب مسارح
العشاق لابي جعفر ابن السراج وطوق الحمامة لابن حزم مشحونان بذكر اخبارهم
من ذلك وان الشيخ شرف الدين ابن العارض حيث يقول

وعش سالما فالحب راحته عنا واوله سقم وآخره قتل

واذا حملنا القلب في كلامه على العقل كان المراد بالتبتل ضعف العقل ويكون المعنى انه
انتهى به الحب الى الولع والهيام بحيث اختل عقله فصار كالمجنون الهايم على وجهه
الذي لا يدري اين يقصد ولا اين يتوجه وهو موافق لما يقوله الاطبا من ان
العشق نوع من المالنخوليا والى ذلك يشير قيس بقوله

قالوا جننت بمن تهوى فقلت لهم العشق اعظم مما بالمجانين
العشق لا يستفيق الدهر صاحبه وانما يصرع المجنون في الحين

ثم قد تقدم ان المراد باليوم الزمن وحينئذ فيكون المراد انه صار في الضنا والسقم
والهيام والولع على مر الزمان وتعاقب الايام العارض الثاني اليتم وهو الاسر
والرق والذل واليه اشار بقوله متيم وذلك ان المحب اذا تعلق قلبه بالمحبوب واشتغل
خاطره به صار قلبه في يد محبوبه يتصرف فيه كيف شا وبدنه في قبضته كيف
شا

مطلق

شا فليس له منه مخلص ولا يلي غيره منه مهرب فاشبه الاسير المستعبد
الذليل في يد من اسره والى ذلك يشير المستعين بالله بن الحكم المامون احد خلفا
الاندلس حيث يقول

عجبا بها باب الليث مستانيني واهاب لحظ فوائر الاجفاني
واقايع الاهوال لا متهيبا منها بسوي الاعراض والهجراني
وتملكت نفسي كالاسير مما زهر النجوم نواعم الاردان
حاكمت فيه السلو الى الصبا فقضى بسلطان علي سلطاني
فالجفن مرقبلي الحما وتركتني في عز ملكي كالاسير العاني

ثم انشد على الرواية المشهورة وهي متيم اثرها كان المعنى اذ قلبه صار
مقتفيا لاثارها يرحل برحيلها ويقيم باقامتها كما ان العبد الذي في قيد
الرق وذل العبودية يسير بسير سيده ويقيم باقامته وقد ذكر القايل

فالى من اجب والسير قد جد وفي مهجتي لهيب الحريق
ما الذي تصنع في الطريق بعدي قلت ابكي عليك طول الطريق

فعند ذلك بقا استمرار في الاسر والرق وهو المراد بقوله لم يفد فان حملناه على
انه لم يجد من يفديه فيتخلص من الاسر فاذا طال اسره ودام رقه مع ما هو عليه من
الضنا والسقم انضم الى ما هو فيه من ذلك الم اليأس من الخلاص فزاد المالي المسه
وشجنا الى شجنه وان حملناه على ان منع الفدا لعدم اختياره له كان المعنى ان في
العشق ملوفا يحمل على الصبر على المرد ويبعث على الازدياد منه وقد قال
الجنيد رضي الله عنه العشق الذ حمانية والهام شوقي اوجبها كرم الله تعالى
على كل ذي روح تحصل اللذة العظمى التي لا يقدر على مثلها الا بتلك الالم ومما حسن
قول القايل ومن عجبي اني بجرحي وكلما رمتني بهم بعد سهم يلذ لي

العارض الرابع التقييد وهو المراد بقوله مكبول وذلك ان فيه تاكيدا بعدم
الخلاص اذ الاسير اذا كان عريا عن القيد ربما امكنه الهرب اذا اختار الفراق
فاذا كان مقيدا ضعفت قوته وقلت حيلته وايضا فان في القيد زيادة مذلة
واهانة واعلم ان هذه العوارض الاربع التي ذكرناها ترجع الى وصفين من

اوصاف الحب وهما التبتل والتيتم والعارضان الاخران وهما الغدا والكحل
من لوازم التيتم الذي هو الاسر ولما كان التبتل والتيتم من اعلى مراتب الحب
اقتصر في تغزله عليهما واكتفا بهما عما دونهما فان قيل كيف شاع ان يتغزل
بامرأة في قصيدة انشدها بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فالجواب
انه جرى في ذلك على عادة العرب في اشعارهم وسماع النبي صلى الله عليه وسلم
ذلك واقراره عليه دليل الجواز ويحتمل انه قصد امراة معينة كانت حليلة
وبانت عنه فتغزل فيها فقد نص العلما رضي الله عنهم على انه انما يمتنع التغزل اذا
كان الشخص معين وامراة اجنبية اما اذا كان بجليلة او غير معين فلا منع
فيه كما تقدم على ان محبتهم كانت غير مفضية الى الخنا والقبيح ويحتمل انه
لم يقصد بذلك امراة معينة بل جرا فيه على الغرض عادة الشعرا في ذلك
ولا منع فيه لما تقدم ولذلك كثير من المتيمين في عشق من اجوع صبر على الوصال
وتقديما للمروة على الشهوة وربما اجتمع الواحد منهم بمن يحبه في الخلوة ثم لا يكون
بينهما امر عفة من الرجال وصيانة من النسا وقد قيل لرجل من بني عذره ما للرجل
منكم يموت في هوى امراة فقال لان فينا جمال وعفة وقد ذكر اليوزباني ان اعرابيا
قال علقت بامراة كنت آتيها فاخذتها وما جرت بيننا ريبة قط الا اني رايت
بياض كفها في ليلة ظلما فوضعت يدها على يدي وقالت مه لا تفسد واصلح
فانه ما نكح الحب الا فسد ولله در القايل

انزه في روض المحاسن مقلتي ... وامنع نفسي ان تنال محرما

ولذلك تصبر العلما رضي الله عنهم على ان الميت عشقا معدود من الشهدا كالمبطون
والمطعون والغريق ونحوهم محتجين بما رواه الدارقطني والدراجي في جزيه
من حديث بن عباس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من عشق
فعف فكتم فمات فهو شهيد وان الحديث فيه ضعيف والى هذا المعنى يشير
ابو القاسم القشيري رحمه الله تعالى بقوله

ان المحب اذا توفي صابرا ... كانت منازله مع الشهدا

البيت الثاني

وما سعاد

وما سعاد غداة البين اذ رحلوا ... الا اغر غضيض الطرف مكحول

اي وما سعاد غداة البين اذ رحلوا وهي معهم الا ظبي اغر الصوت غضيض الطرف
مكحول سعاد هي العين ومحبوبته التي اشار اليها في البيت الاول والغدا اسم
لقابل العشي قال تعالى يدعون ربهم بالغداة والعشي وقد يراد بهما مطلق الزمان
كما تقدم فقلبي اليوم متبول وكلامه في البيت يحتملهما والبين الفراق والتي في قوله
رحلوا بضمير الجمع وان كان الحديث عنه انما هو سعاد فقط اشارة الى انها رحلت
مع قومها ويحتمل انه قصد تعظيمها فعبر عنها بلفظ الجمع والاغر من صفات
الظبي فصار لغلبة الاستعمال كانه مختص به وغضيض بمعنى مغضوض كذبيح
بمعنى مذبوح وكسير بمعنى مكسور ونحو ذلك والطرف المراد به هنا العين
ثم الاصل في غض الطرف ترك التحديق واستيفا النظر وهو كلام البيت يحتمل
امرين احدهما ان يريد به كسر الجفون وفتورها على عادة الشعرا في مثل ذلك
الثاني ان يريد به الحيا والخفر وكلاهما يمدح به على ما سياتي بيانه ان شا الله تعالى
والمكحول وصف الظبي الاغر وهو اما من الكحل بفتح الكاف والحا وهو سواد
يعلو العينين واما من الكحل بالضم وهو الاثمد والمعنى في البيت ظاهر
وحاصله انه لما ذكر حال نفسه وما اعقبه الفراق من الفتك شرع في وصف
ذكر محبوبته التي في هواها وما اشتملت عليه من المحاسن التي لا يقدر معها على
الاسف على فراقها وتلف المهجة في محبتها فشبهها بظبي موصوف باحسن
الصفات واعاد ذكرها للتعظيم كما في قوله تعالى واصحاب اليمين ما اصحاب
اليمين ولان اسم المحبوب مما يلتذ بذكره ولله در القايل

يا من اذا ذكر اسمه في مجلس ... لذ الحديث به وطاب المجلس

وخص التشبيه بالظباء جريا على عادة العرب في التشبيه لها لما لهم بها
بواسعة سكناها الفلوات وبطون الاودية اذ كل احد انما يقع له التشبيه مما في
خزانة خياله الا ترى لتشبيهات ابي المعتز في شعره انما هو اللولي والياقوت
واصناف الجواهر وتشبيهات العرب انما هي بالشيح والقيصوم وازهار البادية
وما شاكل ذلك واوضح شاهد لذلك ما جرى الله سبحانه به عن حكاية الهدهد

بقوله الا يسجدوا لله الذي يخرج الخبء في السموات والارض فعبر باخراج الخبء
دون علم الغيب وان كان علم الغيب ابلغ من اذا كان من عاداته اخراج الخبيات
لسليمن عليه السلام حتى يقال انه ينظر اليها تحت الارض ولذلك تراه يضرب بمنقاره
في الارض ليخرج الدود من اصلها فيأكله واعلم ان التشبيه بالظبا انما هو من استحسانها
في جنس الوحش لانها احسن من الادمي في نفس الامر قال تعالى لقد خلقنا
الانسان في احسن تقويم وقال عز وجل وصوركم فاحسن صوركم ولذلك
قالوا الفقها رضي الله عنهم لو قال لزوجته ان لم تكوني احسن من الشمس والقمر
فانت طالق لم تطلق وان كانت زنجية سودا ثم لما شبهها بالظبي وصفه بثلاث
صفات مستحسنة في الظبي الصفة الاولى الغنج في الصوت وهو مما يلتذ سماعه
ولذلك قيل في وصف الرياض الحسنة روضة غناء من حيث ان صوت الرياض
في الشجر الملتفة يشبه الصوت الخارج بغنة وقد جا في وصف الحسين عليه السلام
انه كان فيه غنة حسنة واعلم ان العشق كما يقع بواسطة النظر كذلك يقع
بواسطة استحباب سماع الصوت فقد قيل ان سبب المحبة ثلاثة اشيا رؤية
صورة او سماع نغمة او سماع صفة حكي ان ابا تمام الطائي سمع جارية
تغني بالفارسية فشجاه صوتها ولم يفهم كلامها فانشد وهو يقول

فلم افهم معانيها ولكن ... شجت قلبي فلم اعل شجاها
فكنت كاني اعمى معني ... يحب الغانيات ولا اراها

قال ابو هلال العسكري في كتابه الاوايل وامر الصوت عجب منه ما يقتل كصوت
الصاعقة وفيه ما يستر ويهيج حتى يرقص ويقلق ومنه ما يبكي ومنه
ما يزيل العقل ويورث الغشا وبه ينومون الصبيان وبه يستخرج الحية
من جحرها واهل الصناعات اذا خافوا الملل ترنموا وتسقي الدواب بالصفير
وتصغي اذانها اذا غني لها المكاري وتزيد الابل في سيرها اذا حدا بها الحادي
وفي امور اخرى ذكرها ذكرها من تاثير الصوت وقد قيل ان صدقة الحادي سال
الرشيد وغيره من الخلفا عما بلغه من حسن حدايته فقال ان نقطش الابل
ثلاثة ايام ثم احدي فتدع الشرب وتصغي الي صوتي فامر بالابل فعطشت ثم احضره
وامر

وامر بالابل فنودي لها بالما فلما مجت مرتين او ثلاثا امر صدقة بالحدي فحدا لها
فقطعت الشرب واقبلت ففعل ذلك مرارا فقال الخليفة قتلتها عطشا وبلك
دعها تشرب وعن عمر الوادي قال بينما انا اسير سير الجهد المرور والمرج
اذ سمعت انسانا يغني عنا لم اسمع مثله فاصغيت اليه فاذا هو يغني في شعر
كثير

وكنت اذا ما جلت لكي ازورها ... اري الارض تطوي لي ويدنو بعيدها
من الخفرات البيض ودجلب بنهما ... اذا ما انتقضت احدوثة لو تعيدها

فكدت اسقط طربا عن راحلتي وقلت لو التمس صاحب هذا الصوت فاصير اليه
ولو بذهاب نفسي فهمت الي ان وصلت اليه فاذا هو راعي غنم فسالته ان يعيد ذلك
الي فقال نعم ولو حضر بخدري اقربكه ساعة ولكني اجعل قربك قربا تزن به
واليه وانا غرثان فاشبع وظمان فاروي ومستوحش فانس وكسلان فانشط
قال فاعادها علي حتى حفظتها منه فوالله ما كان زادي حتى ولجت المدينة غيرها
قلت واخبرني بعض الاصحاب عن من اخبره ان سايرا لهم في الحكم من اليمن الي مكة ومعه
رفيق من اهل اليمن مر بوادي اليمن فمر به في طريقه بشجرة فوق الذراع فوقف بجاهها
وصفق وغنا لها بغنى مخصوص فجعلت تتمايل يمينا وشمالا فلما سكت سكنت
وكنت في شك من ذلك الي ان اخبرني من اثق به ان الشيخ ناصر الدين ابن المليق
رحمه الله قبل ان يلي قاضي القضاة بالديار المصرية كنا بمنظرة بفسيط الساني بالقرب
من بولاق وكان فيه شجرة من هذا النوع كان يقف امامها ويصفق لها بيديه
ويغنيها بابيات فتتمايل يمينا وشمالا ثم سكن بالمنظرة بعده رجل من اهل العلم
كان يفعل لتلك الشجرة كذلك ثم اخبرني بعض اهل بلاد اليمن بالديار المصرية ان
هذه الشجرة موجود عندهم الي الان ولما كان امر الصوت من التاثير على ذلك حق له ان
يتغزل بالغنة التي هي من الذ الاصوات الصفة الثانية غض الطرف فان حملناه
على كسر الجفون وفتورها كان ذلك من باب الزيادة في الحسن والجمال اذ النفوس
تميل الي ذلك في الغالب وترغب اليه ولم تزل الشعرا في القديم والحديث تتغزل في
ذلك وقد قيل الغزل بيت قالته العرب قول جرير شعر

ان العيون التي في طرفها مرض ... قتلننا ثم لم يحيين قتلانا
يصرعن ذي اللب حتى لا حراك به ... وهن اضعف خلق الله انسانا

بها وميل نفسه اليها وبدر الدين القائل حيث يقول شعر

يا قوم اذني لبعض الحسن عاشقة ... والاذن تعشق قبل العين احيانا

قالوا بمن ترى تهوى فقلت لهم ... الاذن كالعين في التحقيق ما كانا

ويجوز ان يكون قد اجبها على حالة وقوع بصره عليها فان النظر يزيد العشق وزايد المحبة قال اعرابي العشق نبت بذره النظر وماؤه المحادثة والمزاورة وثماره الوصل وجناه الجتنى ومن كلام بعض الحكما المراة ثمر ما لرجل فيتحرك نفسه بمجرد النظر اليها فان كرر النظر اليها زاد حبا فيها فان جلس حيث يراها كان الذي به اضعاف ما كان فان نظرت اليه نظرة افتتن بها وصار في جملة العاشقين وقد قيل من اطلق ناظره اتعب خاطره ومن اثرت لحظاته زادت حسراته وبدر الدين القائل شعر

وكنت متى ارسلت طرفك رائدا ... لقلبك يوما اتعبتك المناظر

رايت الذي لا كله انت قادر ... ولا عن بعض انت صابر

الثاني يحتمل ان يكون خص تشبيهها بالظبي بحالة الرجل مبالغة في حسنها فان الشخص عند الرجل يكون في ارث حالاته مع ما ينضم الى ذلك من التاثر بفراق الوطن خصوصا اذا كان مع ذلك فراق حبيب وتوديع صديق فان قيل لم لا قدم وصف الغنة على وصف غض الطرف ووصف غض الطرف على وصف الكحل فالجواب ان الغنة من صفات الصوت والغالب سماعه مع عدم الرؤية ثم تلوه بوصف غض الطرف الذي لا يمكن اليه مع انطباق الجفن ثم اتبعه بذكر الكحل الذي لا يمكن رؤيته الا مع انفتاح العين وكانه لما سمع صوتها استحلاه فدعاه ذلك الى رؤيتها فاحتال على نظرها فراى جفنها منسبطا لغلبة بلباله والله تعالى اعلم بالصواب

البيت الثالث

تجلو عوارض ذي ظلم اذا ابتسمت ... كانه متهلل بالراح معلول

قوله تجلو عوارض ذي ظلم اذا ابتسمت اي تجلو اسعاد عوارض ثغر ذي ظلم اذا ابتسمت وتجلو معناه تكشف يقال جلوت الخبر اي كشفته والعوارض جمع عارض واختلف في معناها فقيل هي الاسنان كلها وهي اثنان وثلاثون سنا ستة عشر من اعلا وستة عشر من اسفل وهي اربع ثنايا

واذا حملناه على الحيا والخفر كان ابلغ في ذلك اذ الحيا مما يمتدح به عقلا وشرعا وقد مدح الله تعالى الى الحور بقوله قاصرات الطرف عين فاخبر بانها قاصرات الطرف عين اشارة الى ان غض الطرف فيهن ليس لضعف في العيون ولا مرض في الجفون وامر تعالى بغض البصر حيا وعفة فقال تعالى قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن الصفة الثالثة سواد العيون وهو المراد بقوله مكحول فان جعلناه من الكحل الذي هو سواد جفون العينين من غير تكحيل فهو في غاية المدح للاستغنا عن التكحيل وقد جا في وصفه صلى الله عليه وسلم في عينيه كحل وبالجملة فسواد العيون مما يستحسن ويميل اليه النفوس وبدر الدين القائل شعر

فتار الشمس منها حين تبدو ... كقصبي البان في خضر البرود

باطراف الحنا حمر ... والحاظ كبيض الهند سود

بل هو اكمل من الحسن في الفتور في الجفون واعلا رتبة في الجمال واشد تاثيرا في القلوب واليه ذلك يشير ابو اسحق الغزي بقوله شعر

راش الفتور له سهما فاخطاه ... حتى اتقى له سهما من الكحل

وان جعلناه من التكحل بالاثمد لكونه يكسو العين سوادا فالذي يظهر انه يريد انضمام ذلك الى الكحل الخلقي لان الكحل لفقد الكحل في العينين فان ذلك نقص في الحسن وهو خلاف المعهود وبدر الدين القائل شعر

زادة على كحل العيون تكحلا ... ايشم نصل السيف وهو قتول

فان قيل لم لا خص تشبيهها بالظبي بحالة الرجل فالجواب من وجهين الاول يحتمل انه اشار بذلك الى صفة رابعة مما يمدح بها وان كان محذورة لا ترى لاحتيالها وانما توصل الى رؤيتها عند الترحيل لاقتضايه البروز من الخبا والخروج من الخدر فكان ذلك اول وقوع بصره عليها وعلى ذلك ينطبق حمل قوله في البيت غضيض الطرف على الحيا والخفر ثم انه يجوز انه قد اجبها على الوصف وعشقها على السماع فان العشق قد يقع بمثل ذلك على ما تقدم ذكره ولذلك نهى النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان المراة لتزوجها كما تنظر اليها خشية من تعلق قلبه بها

ثنتان من اعلو وثنتان من اسفل متوسطة بين الاسنان واربع رباعيات
بفتح الرا وتحتية بعد العين ثنتان من اعلو وثنتان من اسفل الي جانب
كل ثنية رباعيه واربعة انياب ثنتان من اعلو وثنتان من اسفل الي جانب
كل رباعية ناب واربعة ضواحك اثنان من اعلو واثنان من اسفل الي جانب
كل ناب ضاحك واثنا عشر رحا ستة من اعلو وستة من اسفل الي جانب
كل ضاحك ثلاث رحي من اعلو وثلاث من اسفل واربع نواجد بفتح النون
وكسر الجيم الي جانب كل ثلاثة ناجد وهو ضرس الحلم الذي في اقصي الاسنان
وقيل هي الضواحك خاصة وقيل الضواحك والانياب وقيل الضواحك
والرباعيات والانياب وقيل من الثنايا الي اقصي الاسنان وقيل من اقصي
الثنايا الي اقصي الاسنان وذي بمعني صاحب والظلم بفتح الظا هي
الاسنان وبريقها وقيل رقتها وشدة بياضها قال الجوهري هو كالسواد داخل
عظم السن من شدة البياض والابتسام الضحك بغير صوت وهو بخلاف
القهقهة قوله كانه منهل بالراح معلول ان كان ذلك الثغر شارب خمر منهل
بالراح معلول بها والمنهل بضم الميم وفتح الهاء الشارب مرة اولي والراح بالحاء
والرا من اسماء الخمر والمعلول بفتح الميم واسكان العين الشارب مرة ثانية
والاصل في ذلك ان الابل اذا وردت الما وشربت تنحيت عنه الي مكان تقف فيه
حتي يشرب غيرها ثم تعاد الي الما فتشرب ثانيا فيقال شربت الابل علل
بعد نهل ومعني البيت ان سعاد اذا تبسمت تكشفت في مبسمها عن اسنان
ذات ماء وبريق وذات بياض ورقة ولطيب ثغرها كانه شارب راح شربت
منه مرة بعد اخري وذلك انه لما كانت الغنة وغض الطرف وكحل العين مما
يستحسن في الظبا المستحسنة في جنس الوحوش شبه سعاد بظبي
ثم وصفه بهذه الصفات علي ما تقدم ذكره في البيت الذي قبله ولما كان
الثغر مما يستحسن في البشري دون الظبي اعاد القول به الي سعاد فذكر
اولا السبب الموجب لرؤية ثغرها وهو الابتسام مشيرا الي ذلك بوصفه
من اوصاف المدح الصفة الاولي طلاقة الوجه وبشاشته اذ الشخص قد
يكون

يكون في غاية الحسن والجمال الفايق ولكنه قطوب الوجه عبوسه فيؤدي
ذلك الي ذهاب بهجة حسنه ورونق جماله وما احسن قول البري الوفي
بروحي من رد التحية ضاحكا ۞ فجدد بعد اليأس في الوصل مطمعي ۞
وايضا فان طلاقة الوجه تدل علي الكرم وعبوسته تدل علي اللؤم والي ذلك
يشير بعضهم بقوله شعر ۞
۞ تلقا الكريم فتستدل ببشره ۞ وتري العبوس علي اللئيم دليلا ۞
الوصف الثاني في الحيا والخفر فان الضحك برفع الصوت والقهقهة
دليل الخفة وسقوط المروة ولا يليق بذوي الجلالة والخفر ولذلك
وردت الشريعة بذم ذلك والنهي عنه وقد جا في وصفه صلي الله عليه وسلم
ان ضحكه كان تبسما والي ذلك يشير الفرزدق في قصيدته التي مدح بها
زين العابدين علي ابن الحسين ابن علي ابن ابي طالب كرم الله وجهه بقوله شعر
۞ يغضي حيا ويغضي من مهابته ۞ ولا يكلم الا حين يتبسم ۞
فجعل التبسم غير قادح في الحيا ولا يزيل الهيبة وغاية الطلاقة والبشر كما قيل شعر
۞ بطلاقة ابدت بصفحة وجهه ۞ وضح الصباح لمن له عينان ۞
ثم لما ذكر ان ثغرها ينكشف ويبدو عند ابتسامها بانه وصفها ذي ظلم فان
فسرنا الظلم بها الاسنان وبريقها كان الممتدح بها من وجهين الوجه الاول
ان ما الاسنان من الاوصاف المستحسنة وما زالت المجبون تستعذبه
والعشاق تستلذ به وتستطيبه ولله در القايل ۞
۞ اهيم الي العذب من ريقه ۞ اذا هيم العاشقين العذيب ۞
۞ شهدت عليه وما ذقته ۞ ولكن من العنب عنيب ۞
الوجه الثاني ان بريق الاسنان مما يمتدح به ويرغب اليه وقد جا في وصفه
صلي الله عليه وسلم براق الثنايا وما احسن قول التميري رضي الله عنه شعر
۞ كان وبيض البرق بيني وبينها ۞ اذا كان من بعض البيوت ابتسامها ۞
وان فسرنا الظلم برقة الاسنان وشدة بياضها كان الممتدح به وجهين
الوجه الاول ان رقة الاسنان مما يستحسن في الانسان ويعد من اوصاف
الجمال وقد قيل يستحسن في المراة رقة اربعة منها وصفها وانفها
وبنانها وغلظ اربعة منها ومعصمها وعجيزتها وما هنا لك

وطول اربعة اطرافها وقامتها وشعرها وعنقها وقصر اربعة يدها ورجلها
ولسانها وعينيها بمعنى انها تقصر يديها عن يد ما في بيتها ورجلها
عن الخروج منه ولسانها عن الاستطالة به وعينها عن ما في يد غيرها
الوجه الثاني ان بياض الانسان مما يستحسن في الانسان وتطلع اليه
النفوس وتنبعث اليه الخواطر وبه در القايل شعر

تغتر عن لؤلؤ رطب وعن برد ۞ وعن ابتسام وعن طلع وعن خبب

فشبه ثغرها باللؤلؤ لشدة بياضه وتعاير فيه دلالة على وصفين آخرين
مما يستحسن ويرغب اليه الاول حداثة السن فان الانسان كلما طعن في
السن تغير لون اسنانه عن البياض الى الصفرة او الخضرة الثاني
النظافة لان تغير السن انما يصدر عن ترك السواك وعدم تعهد الاسنان
وقد روي ان بعض السلف راى امراة وهي تحلل اسنانها فطلقها فسالته
عن ذلك فقال ان كان عن شيء بقي من فضلة عشائك في اسنانك فانت
قدرة وان كان غداء استعجلت به عن يومك فانت شرهة وكانت صالحة
فقالت انما ذلك لنفاثة من السواك تخللت اسناني فساءه ذلك وما
احسن قول الشيخ شرف الدين الابوصيري رحمه الله في قصيدته
يهجو بها النصاري مشيرا الى خضرة اسنانهم وصفرتها فقال

كهرما مقلة اسنانهم فكانما ۞ اصاب بها الريحان احجار كبريتا

ولما وصف ثغرها بانه ذو ظلم على ما تقدم بشهده بشارب راح شرب منها
مرة بعد اخرى وهو يحتمل التاويلين الاول ان يريد ان ريقها امتزج
بالخمر واختلط به واكتسب من مقابلتها وصار شبيها بها والى ذلك
يشير بعضهم بقوله

تدير لنا من مراشفها عقارا ۞ قريب العهد من كاس مدارا

ثم يحتمل ان يريد ان في فمها طعم الخمر كما قال بعضهم شعر

اذا ذقت فاها قلت طعم مدامة ۞ معتقة مما تجر به البحر

ومعنى البحر جمع بحار ككتب جمع كتاب ويحتمل ان يريدهما جميعا اي ان فيه ريحة الخمر كما قال
بعضهم شعر

لنكهتها تحكي المدامة ريقها ۞ وكالشهد بل احلى من الشهد ريقها

ويحتمل

ويحتمل ان يريدهما جميعا التاويل الثاني ان يريد ان ريقها نفسه في معنى الخمر وعلى
ذلك مدار اكثر الشعر في اشعارهم وبه در القايل

والله ما ادري لاية علة ۞ يدعون هذا الراح اسم الراح
الريحها ام روحها ام روحها ۞ ام لارتياح نديمها المرتاح

فان قيل ان يتغزل في مثل هذه بذكر الخمر التي هي ام الخبائث مع كون تحريمها سابقا
على اسلامه فان تحريم الخمر في سنة ثلاث من الهجرة واسلامه بعد منصرف
النبي صلى الله عليه وسلم من الطايف في سنة ثمانية فالجواب انه جرى في ذلك
على عادة العرب في اشعارهم مع قرب عهده بالاسلام كما تقدم في الكلام على التغزل
في المراة واذا تعرض لذكر الراح ومتعلقاتها في هذا البيت والذي بعده فلا بد من
متابعته على ذلك وايراد ما ترجع اليه معاني كلامه فقد الاديب الذي يخوض
في كل فن وقد حكى الحريري في درة الغواص عن حامد ابن العباس بانه سيل مرة على ابيه
عيسى في ديوان الوزارة عن ذو الخمار فاعرض عن كلامه وقال ما آتاه وهذه المسئلة
فجاء حامد منه ثم التفت الى قاضي القضاة ابن عمر وقال منه عن ذلك فتنحنح
القاضي لاصلاح صوته ثم قال قال الله تعالى وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم
عنه فانتهوا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم استعينوا على كل صنعة
بصانع من اهلها والا محلتم هو المشهور في هذه الصناعة في الجاهلية وقد قال

وكاس شربت على لذة ۞ واخرى تداويت منها بها

ثم تلا ابو النواس فقال

ودع لومي فان اللوم اغراء ۞ وداوني بالتي كانت هي الداء

فاستغرب حينئذ وجه حامد وقال ما ضرك يا ابا زيد لو تجيب بما اجاب به القاضي وقد
استظهر في جواب المسئلة بقول الله تعالى اولا ثم بقول الرسول صلى الله عليه
وسلم ثانيا وبين المغنيتين وادي المعنى وتبرا من العهدة فكان مخجل على
ابن عيسى من حامد بهذا الكلام اكثر من مخجل حامد من لا ابتداه بالمسئلة
والله تعالى اعلم بالصواب

البيت الرابع

شجت بذي شيم من ماء محنية ۞ صاف بابطح اضحى وهو مشمول

قوله شجت بذي شيم من ماء محنية صاف اي شجت تلك الراح بماء ذي
شيم من ماء محنية صاف عن الكدر اي من حيث مزجها بكسر سورتها

والاصل في الشج الشق والكسر ومنه الشجاج في الراس وذي بمعني صاحب
كما في البيت الذي قبله والشج بفتح الشين المعجمة والباء الموحدة شدة البرد
والمحنية بفتح الميم واسكان الحاء وكسر النون وفتح اليا اخر الحروف بعدها
تاء التانيث ما انعطف من الوادي اخذا من قولهم اذا عطفته والصافي
خلوف الكدر قوله بابطح اضحي وهو شمول اي ذلك الماء كان بابطح اضحي ذلك
الماء وهو مشمول والابطح مسيل الماء الواسع الذي فيه دقاق الحصا
ومنه سمي مسيل مكة ابطح واضحي اي دخل وقت الضحي والمشمول بفتح الميم
واسكان الشين الماء الذي ضربته ريح الشمال حتي برد ومنه قيل خمرة مشمولة
اذا كانت باردة الطعم ومعني البيت ان الماء الذي مزجت به تلك الراح بارد صافي
اخذ من منعطف الوادي في مسيل واسع تربته دقاق الحصا وكان اخذه منه
في وقت الضحي بعد ان ضربته ريح الشمال حتي برد وذلك انها تشبه ثغرها
بمنهل معلول بالراح علي ما تقدم في البيت الذي قبله شرع في وصف الراح
الذي شبه الثغر بها فوصفها اولا بانها مزجت بالماء واعلم ان الخمر اذا
بقيت علي صرافتها من غير خلط ماء بها قيل صرف فاذا صب عليها ماء
قيل مزجت قل المزج او كثر فان كان بحيث رققها ولطفها ولم يكسر
سورتها قيل شعشعت فان زيد علي ذلك حتي كسرت سورتها
قيل شجت فان زيد علي ذلك حتي ذهبت قوتها قيل قتلت وقد
اختلف ندماؤها هل الاولي شربها صرفا او ممزوجة فذهب قوم
الي اختيار الصرف والي ذلك يشير حسان ابن ثابت رضي الله عنه في
الجاهلية

ان التي ناولتني فرددتها ۞ قتلت قتلت فهاتها لم تقتل
كلتاهما حلب العصير فعاطني ۞ بزجاجة ارخاؤها للمفصل

انه رد الكاس علي ساقيها حيث قتلها بالمزج بقوله ان التي ناولتني
فرددتها قتلت ثم دعا عليه لكونه قتلها بالمزج بقوله قتلت ثم طلبها
صرفا بقوله فهاتها لم تقتل ثم سوي بين الصرف والممزوج في الرجوع
الي اصل واحد وهو العصير بقوله كلتاهما حلب العصير ثم طلب اشدها
تاثيرا في السكر بقوله فعاطني بزجاجة ارخاؤها للمفصل بكسر الميم
وفتح

وفتح الصاد يعني الانسان يسمي بذلك لفصله بين الحق والباطل واصرح
منه في المقصود قول الاخر

واصرف بصرف الراح عنك الاسا ۞ وصرف الهم ولا تكتئب

والاشعار في ذلك كثيرة خارجة عن الحصر وذهب اخرون الي اختيار
الممزوجة الا ان الشعر لم يستعمل الا علي سبيل الوصف كما في قوله في بيت
القصيدة سنجت بذي شيم وكقول ابي نواس شعر

حمراء قبل المزج صفراء بعده ۞ وقول الشيخ شرف الدين ابن الفارض
رحمه الله شعر

لها البدر كاس وهي شمس تديرها ۞ هلال ولم يبدوا اذا مزجتبهم
وما احسن قول الشيخ شرف الدين ابن الفارض في قصيدته الميمية جامعا
بين المذهبين وهاويا الي من الطريقين شعر

عليك بها صرفا وان شئت مزجها ۞ فعنك عن ظلم الحبيب هو الظلم

فان قيل لاي معني اختار ذكر الممزوجة في كلامه علي الصرف حيث قال
شجت فالجواب من وجهين الوجه الاول ان الصرف من حيث الطب حار يابس
والممزوجة حار رطب فالمزج ينقلها من اليبوسة الي الرطوبة ويردها الي
التعديل بعد الافراط الثاني ان الصرف قد يودي الي زوال الشعور وذهاب
الاحساس فيصير الي حيث لا يدري ما يقال عنده ولا يدرك ما يجري في مجلسه
فيذهب بذلك نشاطها ويبقي خمارها يرجع شاربها من حال اليقظة الي حال
النوم ومن الصحة الي حال يشبه الموت فان قيل لم خص الشيخ دون ساير
انواع المزج المتقدمة فالجواب ايضا من وجهين الاول ان الشيخ اعدل حالات
المزج والشعشعة لم تنبه الرجل بكسر سورتها لمقارنتها الصرف في افعالها
والقتل يذهب سورتها بالكلية فتصير لا نشاط فيها والشيخ يذهب جل
السورة ويبقي منها بقية تحصل منها النشوة الثاني ان بين الشيخ في الراس
والشيخ في الكاس مناسبتان ظاهرة وخفية فاما الظاهرة فهي ان شيخ
راس الكاس يوجب خروج الحباب منه وظهوره علي سطحه كما ان شيخ
راس الانسان يوجب خروج الدم منها وظهوره علي سطح الجلد والي هذا
المعني يشير عكاشة العبادي بقوله شعر

واذا المزاج علي فتيح جبينها ۞ نعتت بالسنة المزاج حبابا

واما الخفي فهو ان اعلا الشج اج في الراس الموضحة وهي التي توضح العظم والواجب
فيها خمس من الابل ثم ان كانت عمدا اقتصي فيها من الجاني فان عفا فيها على الدية
وجب الخمس من الابل عليه وان كانت خطاء او شبه عمد تحملها العاقلة عنه
كما تحمل دية النفس في الخطا والكاس في يد النديم يعقله باصباعه الخمس
يعني انه يمنعه من الحركة ونحوها والعقل في اصل اللغة المنع وبه سميت
العاقلة لمنعها الجاني عن الوقوع في مثل هذه الجناية والى هذا المعنى يشير
الشيخ صدر الدين الوكيل الشافعي بقوله شعر

ما الكاس عندي باطواق الاناملِ بل ... بالخمس تقبض لا يخلو لها الهرب

شجت بالماء منها الراس موضحة ... فحين اعقلها بالخمس لا عجب

ثم لما ذكر انها لمزجت بالماء وصف الماء الذي مزجت به بستة اوصاف الوصف
الاول كونه ذا شج وهو الشديد البرد على ما تقدم تفسيره وذلك ان
البرد في الماء مما يستطاب به شرب الماء القراح ويستعذب وقد ورد في
الحديث خير الماء الشج يعني البارد فان مزجت الخمر به كانت اطيب واذ
كما في الماء ضرورة والى ذلك يشير نصيب شعر

كان على انيابها الخمر شجها ... ماء الندامى اخر الليل غابق

وذلك ان الماء اخر الليل يكون ابرد خصوصا ماء الندا فانه في تلك الساعة
ينزل واكثر ما يكون في زمن البرد واعلم ان ما ذكره من وصف ماء المزج
بالبرد جرا فيه على الغالب وربما وقع في كلامهم مزجها بالماء الحار كما اشار
اليه عمر وابن كلثوم بقوله في ابيات شعر

شعشعة كان الحصر فيها ... اذا الماء خالطها سخينا

قال ابو عمر الشيباني كانوا يسخنون لها الماء في الشتا والحصر في البيت بضم الحا
وبالصاد المهملتين الورس وقيل الزعفران جعل ان الماء اذا خالطها سخنا
اثار منها رايحة طيبة ولعل ذلك كان يقع لهم في البرد الشديد الذي يجبر
فيه الخمر لشدته فاذا وضع الماء السخن فيها لطفها ورققها بخلاف البارد
فانها تزيد جمودا الى جمودها والى هذا المعنى يشير القاضي الفاضل
رحمه الله تعالى واصفا لشدة البرد في ليلة قد جمد خمرها وخمد جمرها

الى يوم تود البصلة لو زادت قصا الى قصها ... والشمس لو جرت النار الا قرصها

وسر

ولله در القايل شعر

ويوم يود الطير من برديه ... لو زاق حر النار والسقودا

واذا رميت بعضل كاس في الهوى ... رجعت عليك من السلاف عقودا

الوصف الثاني كونه من ماء محنية وهو ما انعطف من الوادي على ما تقدم
قال ابو السعادات ابن الاثير في نهايته وانما خص ماء محنية بالذكر لانه
يكون اصفا وابرد وكان المعنى فيه ان الرياح تتراكم فيه لانعطافه فتبرده
كما اشار اليه في اخر البيت بقوله وهو مشمول وان كان فيه قذى ازالته
كما اشار اليه في البيت الذي يليه بقوله تنفي الرياح القذى عنه وافرطه
على ما سياتي بيانه الوصف الثالث كونه صافيا وهو المراد بقوله صاف
وذلك ان الماء انما يصفو بخلوصه عما يخالطه من اجزا الارض فاذا كان
صافيا ومزجت به الخمر لا يكدرها بخلاف ما اذا كان كدرا فانه يكدرها
بمخالطته لها ويخرجها عن وصف الصفا المطلوب فيها الوصف الرابع
كونه ابطح وهو المسيل الواسع الذي تربته دقاق الحصا على ما تقدم
بيانه فباتساعه يكون مظنة الكثرة ويكون تربته دقاق الحصا
يكون مظنة الصفا الوصف الخامس كونه اخذ في وقت الضحى وهو
اول وقت يستسقى فيه الماء لقرب عهده من اخر الليل فيكون الماء فيه باردا
بخلاف ما بعد ذلك من اوقات النهار التي تشتد فيها حر الشمس الى اخر
النهار واوايل الليل تبقى فيها اثر حر النهار الوصف السادس كونه مشمولا
وهو الذي صرته ريح الشمال حتى برد لان المطلوب فيه البرد كما تقدم
فان قيل لم خص ريح الشمال بالذكر دون غيرها فالجواب ان ريح الشمال
اشد تبريدا للماء من غيرها من الرياح خصوصا بارض الحجاز لرقتها ولطافتها
وغيرها من الرياح كذلك بل ربما هبت بعض الرياح على الماء فيسخن عبورها
عليه وسياتي ذكر انواع الرياح في البيت الذي يليه عند قوله تنفي الرياح
القذى عنه ان شا الله تعا والله تعالى اعلم

البيت الخامس

تنفي الرياح القذى عنه وافرطه ... من صوب سارية بيض يعاليل

قوله تنفي الرياح القذى عنه وافرطه اي تنفي الرياح القذى عن ذلك
الابطح وقوله تنفي اي تطرد يقال نفاه اي طرده والرياح جمع ريح قال

الامام فخر الدين والريح عبارة عن هوي يتحرك قال وكونه متحركا ليس لذاته
ولا لدامة الحركة بدوام ذاته فلابد وان يكون بتحريك الفاعل المختار
وهو الله سبحانه وتعالى كما قال الله الذي يرسل الريح وزعم الفلاسفة ان
سبب ذلك ارتفاع اجزاء دخانية لطيفة من الارض قد سخنت تسخينا شديدا
وسبب تلك السخونة ترتفع وتتصاعد فاذا وصلت الى القرب من الفلك كانت
الهوي الملتصق بقعر الفلك متحركا على استدارات الفلك المستديرة التي جعلت
لتلك الطبيعة من الهوي بمنع نفوذ الادخنة فتتفرق في الجوانب وبسبب ذلك
التفرق يحصل الريح وهو مردود باجوبته ليس هذا موضع ذكرها ثم اصول الريح
اربعة الاولى الصبا وسمي القبول بفتح القاف لانها تقابل هبوبها المشرق
وثانية من مطلع الشمس قال ابو جعفر النحاس وهي التي تسميها اهل مصر الشرقية
لانها تاتي من الشرق والثانية الدبور وهي التي تاتي من مغرب الشمس
سميت بذلك لان من استقبل المشرق استدبرها واهل مصر يسمونها الغربية
ومهبها من مغرب الشمس الى حد القطب الاسفل وهو الجنوبي الثالثة الشمال
بفتح الشين سميت بذلك لانها عن شمال من استقبل القبلة المشرق قال
النحاس ويقال لها البحرية لانها يا ربها في البحر على كل حال والاسم الذي ذكره
يعرف عند المصريين والعامة يعتقدون انها سميت بذلك لهبوبها
عليهم من جهة البحر ومهبها من خط القطب الشمال الى مغرب الشمس الرابعة
الجنوب وهي التي تسميها المصريين القبلية وعامتهم يعبرون عليها بالمريسي
لانها تهب من بلاد المرس وهم طائفة من السودان حسان الوجوه ومهبها
من حد القطب الاسفل الى مطلع الشمس وكل ريح جاءت بين هبوب ريحين
يقال لها النكبا سميت بذلك لانها نكبت من هبوب تلك الرياح الاربع اي عدلت
عنها ولاهل البحر والملاحين في ذلك المعرفة التامة وهم كما يقال علم نفيس
في جنس خسيس والقنى بفتح القاف والنون المخففة ما يسقط في العين
والشراب والمراد هنا ما يقع في الماء مما يشربه ويكدره قوله واوفر طم من صوب
سارية بيض يعاليل واوفر طم ذلك الابطح بالماء بيض يعاليل من صوب سارية
وقوله

وقوله واوفر طم يعني ملاء ملاء خارجا واصل الافراط الزيادة في الشيء ومجاوزة الحد
والمراد هنا ان البيض اليعاليل على الخلاف الاتي في تفسيرها قد ملئت ذلك الابطح
بالماء حتى خرج في امتلائه عن الحد والصوب في كلامه بمعنى المطر والسارية تحتمل معنيين
الاول ان يريد من صوب سحابة سارية وهي التي تاتي بالليل اخذا من السري وهو سير الليل
يقال سري يسري اذا سار ليلا وقد سارت على السحابة حتى صارت علما عليها لا يفهم
منها عند الاطلاق في كلام العرب عند ذكرها غيرها الثاني ان يريد من صوب سحب سارية
على معنى الجمع ويكون المراد السحب التي تاتي بالليل وقد اختلف في معنى البيض اليعاليل
فقيل البيض الجبال واليعاليل الشديدة البياض وهو الظاهر الذي يرشد اليه
المعنى ويكون البيض الجبال على ما تقدم واليعاليل التي تنزل منها الماء مرة بعد اخرى
اخذا من العلل وهو الشرب مرة بعد مرة كما تقدم في البيت قبله وقيل البيض الجبال
واليعاليل المرتفع وقيل البيض السحب واليعاليل التي تجي مرة بعد اخرى ورد بانه
يصير التقدير واوفر طم بيض سحب يعاليل من صوب سحابة سارية ويكون المعنى
ان السحب البيض التي ملأت الابطح استمدت الماء من مطر تلك السحابة السارية وذلك
يؤدي ان بعض السحب تمد المطر من بعض وهو خلاف المراد وغير الواقع بل السحب
لا تكون بيضا الا اذا كانت خالية من المطر واما اذا كانت حاملة للمطر فان لونها يكون
اغبر ومعنى البيت ان الرياح عند هبوبها تطرد ما بذلك الابطح الذي اخذ منه الماء
المشبه بالرياح المشبه بها نفر سعاد حتى لم يبق به ما يكدره وجاءت سحابة
او سحب بالليل فامطرت حتى امتلأ وفاض فاجتمع فيه الصفا والبرودة والكثرة
وذلك انها وصف الماء الذي شجت به الرياح في البيت الذي قبله بما يرجع حاصله
الى الكثرة والبرودة والصفا على ما تقدم تقديره هناك اتبعه في البيت بما
يؤكده فوصف فيه بخمسة اوصاف الاول انغاء القنى عن الابطح الذي فيه الماء
وهو محتمل معنيين الاول ان يكون نفي القنى عنه قبل وجود الماء فيه بمعنى ان
الرياح تهب عليه فتنسف ما فيه من تراب ونحوه مما يكدره اذا نزل عليه الماء
فلا يبقى فيه الا ذفاق الحصا التي هي اصل تربته فلا يجد الماء عند حلوله فيه ما
يكدره فيبقى على صفائه الثاني ان يكون نفي القنى عنه بعد وجود الماء فيه

بمعنى ان الرياح تهب على الماء وهو في الابطح فتقذف على ما في وجهه مما كان في الابطح
قبل وجود الماء فيه فطفا على وجه الماء او سقط في الماء بعد حصوله في الابطح فتطرده
الى شاطئ الوادي والمعنى الاول ابلغ في الصفا لعدم ملاقات القذى للماء جملة
وهو اقرب الى مراد الناظم رضي الله عنه الوصف الثاني الزيادة والكثرة
وهو المراد بقوله وافرطه لان الماء قد يكون باردا صافيا ولكن فيه ما يستقذر
مما لا يكدره ولا يغيره كعظم الميتة وغيره فان كان كثيرا لا يتاثر بذلك
ولم تعف النفس شربه ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا بلغ الماء قلتين
لم يحمل خبثا اشارة الى ما دون القلتين يتاثر بالنجاسة وغيرها وان لم يتغير
الوصف الثالث كونه من ماء المطر وهو المراد بقوله من صوب على ما تقدم تفسيره فان
قيل لم خص ماء المطر دون غيره من المياه فالجواب من خمسة اوجه الاول ان الغالب
في ارض الحجاز ماء المطر ومنه تتلي الجبال والاودية وتستمد منه العيون فجرى في ذلك
على الغالب في ارضه وهو الاقرب الى مراده الوجه الثاني ان يكون ماء المطر
مشتملا من اصله على وجهين من اوصاف الماء المطلوبة فيه وهما الصفا والبرودة
اما الصفا فلانه ليس في السحاب ما يكدره وانما نظر اعليه الكدرة بعد ذلك
مما يصيبه من اجزاء الارض بخلاف المياه الارضية فانها مخالطة لاجزاء الارض
من اصلها واما البرودة فلان ماء المطر ينزل من السحاب باردا وانما نظر اعليه السخونة
بعد ذلك لما يصيبه من حر الشمس وحرارة الارض وما احسن قول بعضهم يرثي
شيخه وقد امطرت السماء في اليوم الذي مات فيه شعر

بكت السما عليه يوم مماته ۞ بمدامع كاللؤلؤ المنثور
واظنها فرحت بصعد روحه ۞ لما حمت وتعلقت بالنور
وليس دمع الغيث يهمي باردا ۞ وكذا يكون مدامع المسرور

الثالث ان ماء المطر افضل من غيره من المياه ولذلك وردت السنة بان يكشف
الانسان ما سوى عورته لاول مطر العام ليصيبه وقد جاء ان الرياح تحمل الماء
من السماء فتصبه في السحاب فيمطر منه وعليه قرئ في السواد وانزلنا من
المعصرات ماء ثجاجا تفسير للمعصرات بالرياح دون السحاب وان كان الاكثرون
على

على تفسير المعصرات بالسحاب وعليه قراءة السبع وانزلنا من المعصرات الرابع
قيل ان الماء الذي ينبع من الارض هو الذي نزل من السماء احتجاجا بقوله تعالى
وانزلنا من السماء ماء بقدر فاسكناه في الارض وحينئذ يكون ماء السماء
هو الاصل وماء الارض ينبع منه الخامس قيل ان ماء المطر اخف وذلك ان
الفلاسفة تزعم ان ماء المطر من ابخرة متصاعدة من البحر على ما هو مقرر عند
الطبيعيين ولا ما يتصاعد من الماء الا ما هو اخف والطف والى هذا المعنى
يشير بعضهم في الاعتذار عن هدية ارسلها الى ابن عمه بره بقوله شعر

والبحر يعطر السحاب وماله ۞ فضل عليه لانه من مائه

الوصف الرابع كونه من سحابة او سحب اتت بالليل وهو المراد بقوله سارية
على ما تقدم وذلك ان السحاب اذا اتت ليلا بقي المطر على اصله في البرودة فاذا
اخذ من صبحة تلك الليلة كان في غاية من البرد وهو من اكد المطلوب فيه وان
جعلنا سارية وصف السحب على معنى الجمع كان فيه معنى الكثرة ايضا فيكون
مؤكدا لمعنى قوله وافرطه خصوصا اذا فسرنا يعاليل بالتي تاتي مرة بعد اخرى
الوصف الخامس كونه ينزل من السماء قبل حضرته الى الابطح على جبال بيض
صفا فيه ليس عليها ما يكدر الماء اذا وقع عليها وهو المراد بقوله بيض
يعاليل على اقوى التفاسير المتقدمة خص الجبال المذكورة بنزوله عليها
قيل نزوله الابطح الذي هو مقره لان الجبال مع صفائها صلبة لا ينفصل
منها شيء بوقوع المطر عليها بخلاف الابطح فانه ربما اثار المطر تربته
بشدة وقعه عليه ثم ان فسرنا يعاليل بالشديدة البياض كان مبالغة في
صفاء الماء الذي ينزل عليها لغلبة الصفاء عليها وان فسرناها بالتي تاتي
مرة بعد اخرى كان مبالغة الكثرة وكلاهما من الاوصاف المستحسنة في الماء وان
فسرناها بالمرتفعة كانت مبالغة في الصفا ايضا وذلك انها اذا كانت مرتفعة
كان هبوب الرياح عليها اشد فربما انتفت ما فيها من تربة ان كانت فيبقى على بقائها
وصفائها والله اعلم بالصواب

البيت السادس

الكرم بها خلة لو انها صدقت ۞ موعودها او لو ان النصح مقبول

قوله اكرم بها خلة لو انها صدقت موعودها اي اكرم بسعاد خلة لو انها
صدقت موعودها الذي وعدته اكرم بها اي اكرم بسعاد ومعناه ما
اكرمها كما في قوله تعالى اسمع بهم وابصر يوم ياتوننا اي ما اسمعهم وابصرهم
في ذلك اليوم ثم الكرم في كلامه يحتمل معنيين الاول وهو الاقرب لمراده
ان يريد به كرم الحسب والشرف وطيب الارومة الثاني ان يريد به خلاف
البخل وهو الجود وهو المتبادر الى افهام العامة والخلة بضم الخاء
وتشديد اللام وبعدها تاء التانيث الخليلة وهي الصديقة ويروي
فيا لها خلة بدل اكرم بها خلة او فيا قوم اعجبوا لها خلة ويروي ايضا
يا ويحها خلة وويح كلمة تقال لمن وقع في هلكة لا يستحقها فيرثى له رحمة
كما في قوله صلى الله عليه وسلم ويح عمار تقتله الفئة الباغية ويروي
يا ويلها خلة وويل كلمة لمن يستحق الهلكة كما في قوله تعالى وهما يستغيثان
الله ويلك آمن ان وعد الله حق ولو في كلامه يحتمل معنيين احدهما
ان تكون للتمني كما في قوله تعالى فلو ان لنا كرة ويكون المعنى فيها فيا ليتها
صدقت موعودها لكانت خلة كريمة او لو صدقت موعودها لتمت خلالها
والصدق خلاف الكذب وموعودها يحتمل ثلاث معاني الاول ان يريد به
نفس الوعد بتقدير لو صدقت وعدها الثاني ان يريد به الشيء الموعود به
بتقدير لو صدقت ما وعدت الثالث ان يريد به الشخص الموعود به بتقدير
لو صدقت الوعد الذي وعدته قوله ولو ان النصح مقبول اي اكرم بها خلة
لو انها صدقت موعودها على ما تقدم او لو ان النصح مقبول عندها
او وفي كلامه يحتمل معنيين الاول ان تكون على بابها الثاني ان يكون
بمعنى الواو كما في قوله وارسلناه الى مائة الف او يزيدون والنصح خلاف
الغش قال ابن الاثير وهي كلمة يعبر بها عن جملة هي ايراد الخير للمنصوح
قال وليس يمكن ان يعبر على هذا المعنى بكلمة واحدة تجمع معناها وغيره
واصل النصح الخلوص ومنه قولهم نصح الليت اذا خلص من زغوته والمقبول
خلاف المردود ومعنى البيت انها صديقة كريمة الا ان فيها خصلتان
منافيتان

منافيتان لافعال الكرم وهما اخلاف الوعد وعدم قبول النصح فلو انها خلت
من هاتين الخصلتين لكانت على اتم الخلال واكملها وحاصل الامر ان الانسان
كما يحتاج الى حسن الصورة وكرم الاصل كذلك يحتاج الى حسن الوكا المعاشرة
من الوفا والصدق والود والمعافاة ولين الجانب ونحو ذلك اذ لو كان
الانسان في غاية الحسن والجمال ولكنه سيء المعاشرة وقليل الموافاة لمحبة
النفوس ونفرت عنه النفوس وجفته الاصدقا ورفضته الاصحاب
بل حسن السيرة يقدم على حسن الصورة فقد قال الامام فخر الدين رحمه الله
تعالى في اسرار التنزيل ان حسن الصورة وان كان مرغوبا فيه فان حسن
السيرة افضل منه اذ حسن الصورة يبقى اياما وحسن السيرة لا يزول
اثره ولا تبطل نتيجته وحسن الصورة ربما اداء بصاحبه الى الوقوع
في المحن والبلا وحسن السيرة ينجيه من الهلاك وينقذه من المهاوي
الا ترى ان حسن الصورة ادى بيوسف عليه السلام الى السجن وحسن
سيرته اوجب له الخروج من السجن وجلوسه على سرير الملك ولما كانت سعاد
من الحسن والجمال على الوصف الذي قدم ذكره الا انها كانت سيئة العشرة
قليلة الموافات تاسف عليها لكونها لم تكمل خلالها ولم تتم خصالها ولم يهدها
ما لاقاه من سوء عشرتها وقلت موافاتها عن محبته لها ولم يثنه عنانه عن محبتها
بل لم يزد فيها الا هياما ولم يحدث عنده جفاها الا ودا وبدره القائل شعر

العقل عقيلة الرجال ۞ والحب محلل العقال ۞
العقل يقول لا تبالغ ۞ والحب يقول لا تبال ۞

ثم انشد على الرواية المشهورة وهي اكرم بها خلة كان ذلك في غاية المدح فان
فسرنا الكرم بالشرف والحسب وطيب الارومة كان هو الغاية القصوى
اذ العراقة في النسب مطلوبة في المراة مرغوب فيها خصوصا عند العرب وقد
وردت تاكيدا لذلك ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم تخيروا لنطفكم
لنطفكم فلا تضعوها الا في الاكفا ونهى عن المراة الدنية الاصل فقال
واياكم وخضراء الدمن قالوا وما خضراء الدمن يا رسول الله قال المراة الحسنا

به السنة

في النسب السوء والمعنى ان الدواب اذا راتت بالمرعي ونبت الزرع في موضع الروث
تراه اخضر متنعما على ما حوله من الزرع فشبه النبي صلى الله عليه وسلم المراة الحسنا
الدنية بالزرع النابت في الروث على اصل غير طيب على ان الحديث مصرح بضعفه
لتفرد الواقدي به وان كان المعنى صحيحا وان فسرنا الكرم بما خالف البخل كان في
معنى المدح ايضا الا انه دون الاول الا ان الجود فيما يقال من صفات المدح في
الرجل دون المراة والحق ان الجود فخر لصاحبه مطلقا رجلا كان او امراة وان
انشد فيا لها خلة على الرواية الثانية بتقدير الا فاعجبوا لها او فيا لها خلة
كان التعجب من كونها اشتملت على حسن الصورة وبديع الجمال وهي مع ذلك
مشتملة على سوء العشرة وقلة الموافاة فان حسن الصورة مقرون بحسن
الفعال وكرم الاخلاق ولذلك قال صلى الله عليه وسلم اطلبوا الحوائج عند
صباح الوجوه فان كان في نهاية الفعال وكرم الاخلاق الحسن والجمال
وفعالها مخالفة في ذلك كان في غاية التعجب وان انشد فيا ويحها خلة
على الرواية الثالثة كان ذلك من باب التاسف عليها حيث لم تتخلق باخلاق
الكرام المناسبة لبديع منظرها وكرم حسبها بل خرجت عن طورها اللايق وركبت
جادة لا تليق بمثلها فحادت عن طريق الصدق ومالت الى الاخلاف فقطعت
حبال المودة وهدمت مباني الالفة وبدور البحتري حيث يقول

احنو عليك وفي فوادي لوعة ... واصد عنك ووجه ودي مقبل
واذا هممت بوصل غيرك ردني ... ولد عليك وشافع لك اول
واعز ثم اذل ذلة راسق ... والحب فيه تعزز وتذلل

وان انشد فيا ويلها على الرواية الرابعة كان من باب الدعا على المحبوب المطلوب فيه
عدم الاجابة كما قيل شعر ... ادعو عليك وقلبي ... يقول يا رب لا لا
وكانه لما اصبحه اعراضها واعياه صعوبة مراسها هفت منه هفوة فقال يا ويلها
لانه قصد بذلك حقيقة الدعا واذا دعا المحب على المحبوب بالويل فما عسى يدعوا
به العدو على عدوه وما احسن قول ديك الجن

كيف الدعا على من خاب او ظلما ... وما لكي ظالمي في كل ما حكما
لا واخذ الله من اهوى بجفوته ... كلا ولا اقتص لي منه ولا انتقما

ثم

ثم ان جعلت لو في قوله لو صدقت موعودها في التمني بتقدير البيت لو صدقت
كان حسن الخلة ثابتا لها في كل حال سوا انشد اكرم بها خلة او فيا ويحها خلة على معنى
ما اكرمها خلة كان قد اثبت لها وصف الكرم وان انشد فيا لها خلة او يا ويحها او يا
ويلها كان فيه معنى التاسف على عدم كمال خلالها ومعاطاتها ما ينافي اسباب
الوفا ما لا يليق بجمالها وجلالها وان جعلت لو بمعنى الشرط كان قد علق الامر بحال
التقدير على صدقها الوعد فان انشد اكرم بها خلة كان كرمها معلق على شرط صدق
الوعد فلا يكون الكرم ثابتا لها الا مع صدق الوعد وان انشد فيا لها او يا ويحها
او يا ويلها كان التقدير لو انها صدقت موعودها لكملت خلالها او لكان خيرا لها
ثم ان جعل الكرم في كلامه بمعنى الجود كان المعنى انها مشتملة على الجود متصفة
بالسخا الا انها لم تجد له بالوصل فكانت كما قال ابن وكيع شعر

قالوا عشقت كثيرا ليته ممتنعا ... فقلت هيهات عنكم غاب اطيبه
لو جاد نهار وان الجود عادته ... وانما عز لما عز مطلبه

وان جعل الكرم بمعنى الحسب والشرف كان المراد التاسف عليها كيف لم تحسن
طريقتها ولم تصف في الود خلاقها كما اجاد وقال جميل

وماذا عسى الواشون ان يتحدثوا ... سوى ان يقولوا انني لك عاشق
نعم صدق الواشون انت حبيبة ... وان لم تصف منك الخلايق

فان قيل ما المراد بالوعد الذي وعدته ولم تصدق فيه فالجواب ان سياق الكلام
يقتضي ان وعد يتعلق بالوصل والمودة وحسن العشرة على انه قد تقدم ان
محبتهم مصونة عن الخنا بعيدة من الريبة وقد حكي ان عزة دخلت على ام البنين
ابنة عمر ابن عبد العزيز فقالت لها ما معنى قول كثير شعر

قضى كل ذي دين فوفى غريمه ... وعزة ممطول معنى غريمها

فقالت ما كانت هذه الدين قالت وعدته بقبلة ومطلته بها فقالت تجزي بها له
وعلي اثمها ففعلت وكانت ام البنين صالحة فاعتقت اربعين عبدا وقالت عبيد
الكعبة اللهم اني ابرئ اليك مما قلت لعزة ثم لما اشار الى عدم وفايها بالوعد
بقوله لو انها صدقت موعودها اتبع ذلك بوصف اخر وهو عدم قبول

النصح وهو محتمل لمعنيين الاول ان يكون النصح فيما يتعلق به ويرجع نفعه
في الحقيقة اليه وهو ترك الهجر والمطل والوفا بما وعدته من الوصل فان المرء مجازا
بعقله والمظلوم منصور فربما رماها الدهر الذي من يوقعها الحب في حبالته ويلحقه
منها بثار كما قيل شعر

قلت لمحبوبي وقد مر ... محبوبه كالقمر الساري
هذا الذي ياخذ لي حرفه ... من حرفك الوسنان بالثاري

واذا وصلته كانت قد ابقت عليه روحه وفازت باجره كما قيل شعر

فديت من ترحم عشاقها ... وراحم العشاق ماجور

بل ربما حمله على المحبة تحضر النصح في جانبها مع اعراضه عن حال نفسه في الوصل كما قيل

وما طلبي الوصل حرصا على اللقا ... ولكنه اجر اليك اسوقه

المعنى الثاني ان يكون النصح فيما يتعلق بخاصتها وهو نهاها عن الحالات الرديه
الذي انبتها لها في البيت الذي بعده من الاجابة بالمكروه والكذب واخلاف الوعد
والملال الى غير ذلك مما تضمنت الابيات الذي قبله وبعد ذلك على ما سياتي
بيانه في موضعه ان شا الله تعالى مع ما وصفها به في صدر القصيدة من الجمال
والحشمة والجلالة التي لا تليق بصاحبها معاطاة ذميمة الخلال وقد قال صلى الله عليه
وسلم لجرير ابن عبد الله وكان جميلا انت امرؤ قد احسن الله خلقك فاحسن
خلقك ومن كلام بعض الحكما كل شخص حكمان احدهما من جهة جسمه وهو منظره
والثاني من جهة نفسه وهو مخبره وكثيرا ما يلازمان وقلما تجد صورة حسنة
تدبرها نفس ردية ولله در القايل شعر

يا حسن الوجه توق الخنا ... لا تبدلن الزين بالشين
ويا قبيح الوجه كن محسنا ... لا تجمعن بين قبيحين

اذا علم ذلك فان جعلنا او في كلامه بمعنى الواو وكان حسن خلقها متعلق على اصلها
فقط فايهما وجد كانت متصفة بحسن الخلة على ان قولها النصح شامل الصدق
الوعد ولا عكس

البيت السابع

لا كهنا خلة قد سيط من دمها ... فجع وولع واخلاف وتبديل

قوله

قوله لكهنا اي لكن سعاد والخلة خليلة على ما تقدم في البيت قبله وقدم هنا للتحقيق
بمعنى ما يذكر عنها من الفجع والولع والاخلاف والتبديل محقق الوجود فيها
وقوله سيط بكسر السين المهملة واسكان اليا اخر الحروف وبالطا المهملة بمعناه
معناه خلط يقال ساط الما وغيره اذا خلطه بغيره وضربها حتى صارا
شيا واحدا ومنه قيل للالة التي يضرب بها سوط لانه يسوط اللحم بالدم اي
يخلط قال ابن هشام ويجوز ان تقرا شيط بالشين المعجمة بدل المهملة لانه
يقال شاطه اي بمعنى شاطه ومن في كلامه بمعنى في كما في قوله تعالى اذا نودي
للصلاة من يوم الجمعة اي في يوم الجمعة والمعنى قد خلط في دمها هذا الخلال
والدم احد الخلال الاربعة التي بها قوام البدن وهي الدم والبلغم والصفرا
والسودا والفجع بفتح الفا واسكان الجيم والعين المهملة اصابة المكروه
والاذى والولع بفتح الواو واسكان اللام والعين المهملة ايضا الكذب
والاخلاف بكسر الهمزة واسكان الخا وبالفا في اخره خلاف الوفا والمراد
هنا باخلاف الوعد بدليل قوله في البيت الذي قبله لو انها صدقت موعودها
والتبديل ابدال الشي بغيره والمراد هنا تبديل خليل بخليل وهو في الحقيقة وصف
الملال والمعنى ان هذه المحبوبة التي ابتلي بحبها قد اشتملت على الاصابة
بالمكروه والكذب واخلاف الوعد والملال على ما تقدم بيانه قال ابن هشام
وموقع البيت مما قبله لو كان زبيعلما لاكرمته لكنه ليس بعالم ولا صالح بمعنى
انه في البيت الذي قبله اشار الى وصفين وهما اخلاف الوعد وعدم قبول
النصح وفي هذا البيت ذكر انها اشتملت على اربع خلال مستلزم لما في البيت الذي
قبله وزيادة الخلة الاولى الفجع وهو الاصابة بالمكروه على ما تقدم وهو
محتمل الامور منها الهجر وما يتعلق من مقاسات الالام ومكابدة الاهوال
ومعالجة الاسقام فالهجر يذيب القلوب ويشيب الرؤس ولله در القايل

لا وفا عجبوا من فعلها بحبيبها ... لا تعجبوا من لحمي ومشيبها
فان هجرتني شيبتني بهجرها ... وان وصلتني شيبتني بطيبها

ومنه ما يلقاه منها من الجنف والاساءة اذ قل ان يوجد المحب حبيبا وقد قيل

من العنا ان تحب وان يحبك من تحب ومن الشقاوة ان تحب ولا يحبك من تحب
وله در القايل شعر

واكثر افعال الغواني اساءة ۞ واكثر ما تلقى الاماني كواذبا

ومنها ما يقاسيه من الخوف من اهلها وعشيرتها كما قال ابن خفاجه شعر

وليل طرقت المالكية تحته ۞ احيد على حكم الشباب مزارا

فخالطت اطراف الاسنة بالحلى ۞ ودست بهما لان البدور ديارا

ومنها ما ينالها من العذال من اللوم والتقبيح كما قال ابو هشام شعر

لقد صبرت على المكروه اسمعه ۞ من معشر فيك لو ذانت لم نطقوا

وفيك داريت قوما لا خلاق لهم ۞ لولاك ما كنت ادري انهم خلقوا

ومنها ما يقاسيه من الوشات والرقبا الذين لا يتهنا معهم بعيش ولا يلذ بوصال
مما قلته في ذلك للمقاف به حجر رحمه الله تعالى

احرص على طرد الرقيب وبعده ۞ ان تغتنم وصال الحبيب تلاعبه

كم ليلة بات الحبيب بجانبي ۞ لاكنني خوف الرقيب اجانبه

الخلة الثانية الوايع وهو الكذب على ما تقدم محتمل لامور ايضا منها كذبها
في اخفاء محبته واظهار كراهته وتقاسيا عن وصله كما قلت متضمنا بيت ابي الرشيد

من منصفي من فتاة قد علقت بها ۞ اضحت يمازحها وصل وهجران

تبدي صدودا بطرف تحته شغف ۞ فالنفس راضية والطرف غضبان

ومنها كذبها في دعوى العوايق عن الوصل واقامة الحجج المانعة منه كما قلت ايضا مؤلفه

تقيم معاذيرا وتزعم صدقها ۞ وتطمع امالي بها فاليئن

وتحلف لو تستطيع جادت بوصلها ۞ وليس لمخضوب البنان يمين

ومنها كذبها في الوعد ويكون قوله يعد ولخلاف تاكيد لقوله ووايع وسياتي الكلام عليه
في الخلة الثالثة في البيت التاسع اخلاف الوعد على ما سبق فتبعده وتمنيه وتمطله
ولا تفيه كما قال ابو بنانه

وخلق وعدك خلق منك اعرفه ۞ فليت كان التجافي منك موعودي

الخلة الرابعة تبديل خليل بخليل وهو محتمل لامرين احدهما ان يكون ذلك
حقيقة

حقيقة ويكون قد وصفها بالملال حتى لا يبقى على محبوب بل كلما خالت خليلا
ملته وانتقلت من الى اخر والى ذلك يشير العباس ابن الاحنف

يا قوم لم اهجركم لملالة ۞ ولا لمقال واش وحاسد

لكنني جربتكم فوجدتكم ۞ لا تصبرون على طعام واحد

الثاني ان يكون ذلك خيالا منه قد خيلته له الغيرة وصوره في نفسه من شدة الحب كما
في قول القايل

ولما رمت بالحظ غيري حسبتها ۞ كما اثرت بالعين توثر بالقلب

واني لارجو ان تدوم بعهدها ۞ ولكن سوء الظن من شدة الحب

فان قيل لاي معنى خص الخلال الاربعة فالجواب من وجهين الاول ان الدم هو
الغاذي للاعضا بمفرده على مذهب ارسطو ومن تابعه من الاطبا فاذا
اختلطت هذه الخلال به كانت قد غذيت بها جميع الاعضا وامتزجت بها
فصارت طبعا لا انفكاك عنه الثاني انه قد تقدم في الكلام على البيت الاول
ان في القلب تجويفا يحوي الدم والروح الحيواني ومنه ينبث في الشرايين
ويسري الى الاعضا واذا كانت هذه الخلال متصلة ومخالطة بالدم كانت متصلة
بالقلب الذي عليه مدار الجسد

البيت الثامن

فما تدوم على حال تكون بها ۞ كما تلون في اثوابها الغول

قوله فما تدوم على حال يكون بها اي فلما جبلت عليه من الاخلاف والتبديل ما تدوم
على حال والحال يذكر ويونث يقال هذه حال صالح وهذه حالة صالحة وقد يقال
حال والتانيث لغة اهل الحجاز وعليها جرى الناظم ولذلك قال تكون بها ولم
يقل به وقوله كما تلون في اثوابها الغول اي بل تتلون كما يتلون الغول في اثوابها
واصل تلون تتلون بتايين في اوله فحذفت احدى التايين على عادة العرب في ذلك
كما حذفت من قوله تعالى تكاد تميز من الغيظ والاثواب جمع ثوب وهو معروف
والغول واحد الغيلان وهو نوع من الشياطين قيل سميت بذلك لانها تغتال
تغتال الشخص اي تاخذه من حيث لا يدري فتهلكه وكل شيء اغتال الانسان
فاهلكه قيل له غول او لانها تتغول بمعنى تتلون اخذا من قولهم تغولت على البلاد

سايرم

اذا اختلفت تزعم العرب انها كانت تتراءى لهم في الفلاه بالوان شتى
وتاخذ جانبا عن الطريق فيتبعها من يراها ظانا انها على طريق فيضل عن
الطريق فيهلك وربما قالوا انها تعترضهم في الطرقات فتحاربهم والى ذلك
يشير تابط شرا

الا من مبلغ فتيان فهم ... بما لاقيت عند رحا بطان
باني قد لقيت الغول تهوي ... بسيف كالصحيفة صحصحان
فقلت لها كلاني من ضواض ... اخو سفر فخلي لي مكان
فشدت شدة نحوي فاهوت ... لها كف بمصقول يمان
فاضربها بلا دهش فخرت ... صريعا لليدين وللجران

وقد اختلفوا في وجودها حقيقة فذهب قوم الى انها لا حقيقة لها وانما
هي من خرافات العرب التي تلهج فيها مع غيرها من الامور المستحيلة التي هي
على غير شبهات واحتجوا لذلك بما ثبت في صحيح مسلم من رواية جابر ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا طيرة ولا هامة ولا غول فنفى صلى الله عليه
وسلم الغول كما نفى الطيرة ووقوع المطر بنوء الكواكب والى ذلك يشير بعض
الشعرا بقوله يؤكد النفي الجود بمقارنته في النفي لبعض الحالات

الجود والغول والعنقا وثالثها ... اسماء اشيا لم تخلق ولم تكن

وذهب اخرون الى وجودها حقيقة بقوله صلى الله عليه وسلم اذا تغولت
الغيلان فبادروا بالاذان وفي حديث ابي ايوب كان يتخون لي شعر
في سهوة فكانت الغول تجي فتاخذها وقوله صلى الله عليه وسلم
ولا غول ليس نفيا لوجود الغول بل المراد ابطال زعم العرب في تلونه
بالصور المختلفة واغتياله وانها لا تستطيع ان تضل احدا وتتهوى به
وقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الاخر لا غول ولكن السعالي هي اناث
الشياطين وقيل سحرتهم وقيل الذين لهم قدرة على التلبيس والتخييل
وقيل الغيلان الذي تتراءى الليل والسعالي الذي تتراءى النهار
ومعنى البيت ان هذه المراة لا تدوم على حالة ولا تبقى على خليل بل تتغير
من

من حال الى حال وتنتقل من خليل الى غيره وتتلون بالوان شتى وتتراءى في
صور مختلفة تارة تصل وتارة تقطع وتارة ترضا وتارة تغضب وتارة
تجفو وتارة تتودد وتارة ترغب في خليل وتارة ترغب عنه كما قال بعض
الاعراب

شكوت فقالت كل هذا تبرما ... بحبي اراح الله قلبك من حبي
فلما كتمت الوجد قالت تعنتا ... صبرت وماذا فعل صب بشجي القلبي
وادنوا فتعصيني فابعد طالبا ... رضاها فتعتب لتباعد من ذنبي
فشكواي يوفيها وصبري يسوءها ... وتجزع من بعدي وتنفر من قربي
فيا قوم هل من حيلة تعرفونها ... لتشيروا بها تستوجبوا الاجر من ربي

البيت التاسع

ولا تمسك بالعهد الذي زعمت ... الا كما تمسك الماء الغرابيل

قوله ولا تمسك بالعهد الذي زعمت اي فما تدوم على حال تكون بها على
ما تقدم في البيت قبله ولا تمسك بالعهد بضم التاء المثناة فوق
وكسر السين المشددة يقال تمسك بالشيء بالتشديد تمسك ومنه قوله تعالى
والذين يمسكون بالكتاب ولا تمسكوا بعصم الكوافر ويجوز ان تكون
بفتح التاء والميم وتشديد السين المفتوحة والاصل تتمسك فحذفت
احدى التائين لما في البيت الذي قبله تتلون وعليه قرئ في الشاذ
ولا تتمسكوا بعصم الكوافر والعهد هنا بمعنى الحفاظ ومنه قوله صلى
الله عليه وسلم حسن العهد من الايمان وقوله زعمت لا يجوز ان
يكون بمعنى تكفلت ويكون التقدير الذي زعمت انها تفي به والزعم
في اصل اللغة قول يدعيه المدعي محتمل للحق والباطل الا ان غلب استعماله
في الباطل ولم يرد في القران الا لمعناه ومنه قوله زعم الذين كفروا ان
لن يبعثوا وقوله تعالى هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا ومن استعماله في
الحق قول ابي طالب يخاطب النبي صلى الله عليه وسلم شعر

ودعوتني وزعمت انك ناصحا ... ولقد صدقت وكنت ثم امينا

وقول كثير شعر

وقد زعمت اني تغيرت بعدها ... ومن ذا الذي يا عز لا يتغير

قال عجز البيتين يدل على الصدق وقوله كما تمسك الماء الغرابيل اي ولا تمسك
بالعهد لا تمسكا كامساك الماء الغرابيل والغرابيل جمع غربال وهو الذي يغربل
به الحنطة ونحوها ومعنى البيت انها لا يوثق بعهدها ولا اعتماد على قولها
وشبه امساكها العهد كامساك الغربال الماء ان الماء يجرد وضعه فيه يخرج منه
مبالغة في النقض والنكث وعدم الوفا كما قال ابن السراج النحوي

حلفت لنا ان لا تخون عهودنا ۞ فكانها حلفت لنا ان لا تفي

وحاصل الامر انه وصفها في البيت السابع باربعة اوصاف وهو الامانة
بالمكروه والكذب واخلاف الوعد وتبديل خليل باخر على ما تقدم بيانه
هنا ثم رتب ذلك على ثلاثة اوصاف اخرى فوصفها في البيت الثامن بوصفين
هما عدم المداومة على حال واحد والتلون بالوان مختلفة ثم وصفها في هذا
البيت بانها لا تمسك على عهد ولا تقف عنده فان قيل كيف ساغ له ان يصف
محبوبته بهذه الصفات التي لا تليق ان يصف بها الشخص عدوه فضلا
عن حبيبه فالجواب عنه من وجهين احدهما ان وصفه لها بهذه الاوصاف
راجع الى ما يتعلق باحوال المحبة من الوصل والهجر وما شاكل ذلك لانه
وصفها بذلك على الاطلاق واذا كان ذلك خاصا باحوال المحبة لم يكن
قادحا في الموصوف به وشان المحبوب والتجني والاعراض والتعنت ولا
يكون هجره موثرا ولا تعنيته في المحبة قادحا كما قال ابو نواس

اساء فزادته الاساءة جفوة ۞ حبيب على ما كان فيه حبيب
يعد على الواشين ذنوبه ۞ ومن اين للوجه المليح ذنوب

وله در عتيق بن محمد الوراق شعر

كلما اذنب ابدى وجهه ۞ حجة فهو مصلي بالحجج
كيف لا يفرط في احرامه ۞ من اذا شاء من الذنب خرج

وما احلى قول القايل شعر

واذا الحبيب اتى بذنب واحد ۞ جاءت محاسنه بالف شفيع

الثاني يكون وصفها لتنفير الغير عنها فربما سمع سامع وصفها بالحسن
فبعثه

فبعثه ذلك على حبها فكان ذلك سببا لمباينتها له فاراد ان يبين انها
مع ما وصفها به من الحسن سيئة العشرة لا تفي بوعد ولا تقف عند عهد
لتقل الرغبات في طلبها وتنفر النفوس عن حبها وله در علي بن عيسى

ولست بواصف يوما حبيبا ۞ اعرضه لاهوال الرجال
وما بالي اشوق قلب غيري ۞ ودون وصاله ستر الجمال

واعلم ان هذه الاوصاف تقع من المحبوب على اربعة انواع الاول ان يكون عن
دلال وتيه وعلاجه بالتدلل والاستعطاف والتملق ليلاخذ بقلب محبوبه
ويستميل بالود خاطره والى هذا المقام اشار بعضهم

تدلل لمن تهوى فليس الهوى سهل ۞ اذا رضي المحبوب صح لك الوصل

النوع الثاني ان يكون عن ملال وضجر وعلاجه بتحمل المشقة والامساك
عن المحبوب واختياره وقتا فوقتا فكيف ما احسن منه بالاملال امسك
عنه الى حين يتحقق منه ذهاب الملال كما قال الوالد الدمشقي شعر

بالله ربكما عوجا على سكني ۞ وعاتباه لعل العتب يعطفه
وحدثاه وقولا في حديثكما ۞ ما بال صبك بالهجران تتلفه
فان تبسم قولا في ملاطفة ۞ ما عز لو يوصل منك تسعفه
وان بدا لكما في وجهه غضب ۞ فعفا لطاه وقولا ليس تحرفه

النوع الثالث ان يكون ذلك عن توبيخ ذنب صدر عن المحب وعلاجه التوبة
عن ذلك الذنب والاقلاع عنه حتى لو رماه محبوبه بذنب لا حقيقة له
اظهر له منه التوبة والتنصل كما قال ابو نواس

لا ايها الجاني ذنبا له الرضا ۞ ويا ايها المخطي ونحن نتوب
لحا الله من يلحاك في القرب وحده ۞ ومن لا يرى الغيب حتى تغيب

النوع الرابع ان يكون عن بغض من المحبوب له وهذا هو الداء العضال الذي يعيي علاجه ويشق
برؤه ولاهل المحبة فيه مذهبان المذهب الاول يتحمل ويصبر والقالطة والجزاع لعله ان ينخدع
او يرق كما قيل

تحمل عظيم الذنب ممن تحبه ۞ وان كنت مظلوما فقل انا ظالم
فانك ان لم تغفر الذنب في الهوى ۞ يفارقك من تهوى وانفك راغم

وما احسن قول القايل

اذا مرضنا اتيناكم نعودكم ۞ وتذنبون فنأتيكم فنعتذر

المذهب الثاني اخذ المحبوب بالنهر ان لم يسمح بالوصل كما قال السلطان ابو عبد الله
محمد ابن الاغلب بالله محمد ابن يوسف ابن نصر ابن الاحمر الاندلسي

ايا ربة القرط التي حسنت هيكلي ۞ على كل حال كان لابد لي منك
فاما بذل فهو اليق بالهوى ۞ واما بعز فهو اليق بالملك

على ان الصلاح الصفدي لم يرتضي هذا المذهب فقال مراد اعلى ابن الاحمر

تمسك بذل فهو اليق بالهوى ۞ لتنظم مع اهل المحبة في سلك
متى لاق بالعشاق عز وسطوة ۞ كانك من ذل المحبة في شرك

ولا شك ان ابن الاحمر تكلم على قدر مقامه وعزيز مكانه في السطوة والعز
والصلاح الصفدي تكلم على ما يليق بمقام العشق في نفس الامر فالعشق
يميل الاسود ويلين الصلد الا انه اذا دار الامر بين الذل والوصل فالوصل
بالعز اولى كما قلت منتصرا لابن الاحمر ومرادا على الصفدي

اذا لم يكن وصل الى الحب مسعف ۞ وامسيت تحت الضير والعشق والضنك
ولم استطع صبرا على الذل والهوى ۞ فبالعز وصل المحبوب اولى من الترك

البيت العاشر

فلا يغرنك ما منت وما عدت ۞ ان الاماني والاحلام تضليل

قوله فلا يغرنك ما منت اي واذا كانت على ما تقدم من الاصابة بالمكروه والكذب
واخلاف الوعد وتبديل الخليل باخر وعدم الوفا والمداومة على حال والتلون
في الود وعدم الوفا بالعهد فلا يغرنك ما منيتك اياه وما وعدتك اياه
والخطاب في قوله فلا يغرنك يحتمل وجهين الاول ان يكون خطابا لكل احد
كما يقال فلان لئيم ان اكرمته اهانك وان احسنت اليه اساءك لا مريد
مخاطبا بعينه ومنه قوله تعالى ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤوسهم عند ربهم
اذ لم يجعل الخطاب فيه متوجها للنبي صلى الله عليه وسلم والثاني ان يكون
خطابا لنفسه وهذا تسميه اهل المعاني والبيان التجريد وهو ان يجرد من
نفسه

نفسه شخصا ويوجه الخطاب اليه كما في قول الاعشى مخاطبا لنفسه

ودع هريرة ان الركب مرتحل ۞ وهل تطيق وداعا ايها الرجل

وحينئذ فيكون فيه التفات من التكلم الى الغيبة ومن حيث ان صدر الكلام في
البيت الاول من القصيدة بصيغة المتكلم بقوله فقلبي اليوم متبول ثم رجع هنا
من التكلم الى الخطاب لنفسه بقوله فلا يغرنك ما منت وما وعدت فيكون
قد انتقل من التكلم والخطاب وهو نوع من الانواع الستة المذكورة في انواع
البديع اما اذا جعلنا قوله فلا يغرنك خطابا للغير فلا التفات فيه حينئذ
ومنت معناه كذبت يقال منا ه بكذا يمنيه اذا كذبه به اخذا من مني يمني
اذا قدر الشيء لان الكاذب يقدر الحديث لنفسه ثم يقوله وقوله وما
وعدت اي ولا يغرنك ما وعدتك اياه ايضا ويقال وعد بغير الف في جانب
الخير كما هو في هذا الموضع ومنه قوله تعالى وواعدنا موسى ثلاثين ليلة
وربما وقع في جانب الشر بغير الف ايضا اذا دلت عليه قرينة كما في قوله
تعالى وان يك كاذبا فعليه كذبه وان يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم
وقوله ان الاماني والاحلام تضليل بكسر الهمزة من ان تضليل لتعلة فلا يغرنك
ما منت وما وعدت والاماني بتزيد الياء جمع امنية يقال تمنيت الشيء
اتمناه اذا اشتهي حصوله وحدثت به نفسه وقوله تعالى ام للانسان
ما تمنى والاحلام جمع حلم بضم الحاء واللام وهو ما يراه النايم ويقال منكم
حلم بفتح الحاء واللام جميعا ويقال الى جميعا الا ان غلب الرؤيا على ما يراه في الخير
والحلم على ما يراه في الشر ومنه قوله تعالى اضغاث احلام ومنه قول النبي
صلى الله عليه وسلم الرؤيا من الله والحلم من الشيطان والتضليل تفعيل
من الضلال والمراد التضييع والابطال ومنه قوله تعالى الم يجعل كيدهم
في تضليل والاصل من الاماني والاحلام ذوات تضليل فجعلها هي نفس
التضليل للمبالغة كما في قوله تعالى هم درجات عند الله ذو درجات عند الله
ومعنى البيت لا تغتر بما توجبه اليك من زخرف القول وكذب الوعد ولا تعلق
خاطرك بذلك ان الاماني التي يتمناها الانسان والاحلام التي يراها في منامه

تضييع زمان لا فايدة فيه ولا طايل تحته وذلك انه وصفها في البيت السابع
والثامن والتاسع بتسعة اوصاف وهي الاصابة بالمكروه والكذب واخلاف الوعد
وتبديل خليل بخليل اخر وعدم المداومة على حالة والتلون في الود وعدم
الوفا بالعهد على ما تقدم بيانه في موضعه ومن كان بهذه الصفة لا
ينبغي ان يوثق له بقول ولا يتعلق له بوعد ومن تعلق بالاماني ووقف
مع التمني فقد طمع في المحال وامل ما لا يرجى فاتعب نفسه وشتت خاطره
ولما نهى عن الاغترار بما تمنيه وما تعده اكد ذلك بقوله ان الاماني والاحلام
تضليل بمعنى ان الاماني راجعة الى قوله ما منت والاحلام راجعة الى قوله
ما وعدت ويكون من باب اللف والنشر الاول للاول والثاني للثاني
ويكون قد شبهها في الامن بشيئين باطلين لا حقيقة لهما اما الاماني فانها
مخايل فاسدة وضياع زمان في غير ما لا فايدة فيه قال علي بن عبيد الاماني
مخايل الجهل وقال افلاطون الاماني حلم المنتقض ومن كلام بعض الحكما
الاماني بجهل وعند الحقايق تدعك قال رجل لابن سيرين رايت كاني اسبح
في غير ماء واطير في غير هوا فقال انت رجل تكثر الاماني وبدر الخالدي
حيث يقول ولا تكن في الدنيا عبد المنا ايدا ان المنا راس اموال المفاليس
الا ان العاشق ربما استراح اليه وعلل به نفسه كما يعلل نفسه في طول العمر كالامل
كما قال بعضهم في المنا راحة وان عللتنا من هواها ببعض ما لا يكون
وبدر الحارثي حيث يقول

اماني من سعدى حسان كانما سقتنا بها سعدى على ظما بردا
من ان يكن حقا يكن احسن المنا والا فقد عشنا بها زمنا رغدا

واما الحلم بالمحبوب وزيارة طيفه في المنام فانه الحال الخايل والوصال
الذي كله ليس تحته طايل وبدر القايل

زارني طيف من اهوى على جمله من الوشاة وداع الصبح قد هتفا
فكدت اوقظ من حولي به فرحا وكاد يفتك ستر الحب بي شغفا
ثم انتبهت واماني تخيبني يثل المنا فاستحالت غبطتي اسفا

وقول

وقول ابن القطان البغدادي شعر

زار الخيال بخيلة من رسله لما شفاني منه الضم والقبل
ما زارني قط الا كي يوافقني على الرقاد فيغنيه ويرتحل

ولما كان الطيف بهذه المشابه لم يرضه بعضهم بل نفاه وطرده كما قال الحرقوبي العبد

فقل لخيال الحب فليته ينقلب ليها فاني واصل حبل من وصل

على ان بعض المحبين يانس بالخيال ويتسلى به كما قال البحتري

اذا ما الكرى اهدى الى خيالها شفا علة البرح لو نفع الصدا
ولم ار مثليها ولا مثل شانئا فعذب ايقاظا ونتعم هجدا

بل بالغ التهامي حتى فضله على اليقظة فقال

وصل الخيال ووصل الجود ان بخلت شتان ما اشبه الوجدان بالعدم
الطيف احسن وصفا ان لذ تر تخلوا عن الاثم والتنغيص والندم

البيت الحادي عشر

كانت مواعيد عرقوب لها مثلا وما مواعيدها الا الاباطيل

قوله كانت اي صارت ومواعيد جمع ميعاد كموازين وميزان وعرقوب بضم العين
واسكان الراء وضم القاف وبعد الواو باء موحدة رجل عرف عند العرب
باخلاف الوعد واشتهر بحكايته واختلف في نسبه فقيل هو عرقوب ابن
معبد ابن زهير وقيل هو عرقوب ابن عمرو ثم اختلف فيه فقيل من الاوس وقيل من
العمالق وقيل من بني عبد شمس بن ثعلبة وكان من امره انه وعد اخا له كان اسمه
يثرب بن يسار وقال اتيني اذا طلع النخل فلما طلع اتاه قال اتيني اذا ابلح
فلما ابلح اتاه قال اتيني اذا رطب فلما رطب اتاه قال اتيني اذا صار تمرا فلما صار
تمرا اخذه من الليل ولم يعطه شيئا فضرب به المثل في الاخلاف فقيل اخلف
من عرقوب وتداول شعراء العرب في شعرهم قال الشماخ شعر

وعدتني ما لا اطول نفعه مواعيد عرقوب اخاه بيثرب

وقال علقمة الاشجعي شعر

وعدت وكان الخلف منك سجية مواعيد عرقوب اخاه بيثرب

والمثل شيء احاكيت به كان وكذلك قيل للصور المنقوشة تماثيل وقوله وما
مواعيدها اي وما مواعيد سعاد ويروي وما مواعيده بمعنى وما
مواعيد عرقوب والاباطيل جمع باطل والباطل ضد الحق ومعنى البيت ان
هذه المراة اشتهرت باخلاف الوعد كما اشتهر به عرقوب فصارت شبها له
في ذلك حتى لو ضرب بها المثل كانت عديرة به ثم انشد وما مواعيدها على
الرواية المشهورة كان ذلك تاكيدا لاخلافها الوعد فانه ان ضرب لها
عرقوب مثلا في الاخلاف ذكر ان مواعيدها باطلة لا حقيقة لها ولم
يكن يضرب المثل بها حتى وصف مواعيدها الاباطيل فكانت اسوا حال
في المطل والاخلاف منه وما اولاها حينئذ بقول القايل شعر

لو ان الباخلين وانت منهم ... رووك تعلموا منك المطالا

وان انشد وما مواعيده على الرواية الاخرى كانت مماثلة لعرقوب في المطل
من غير زيادة عليه واعلم ان المحبين اختلفوا في مطل المحبوب على مذاهب
فقوم يحملون طلب اللقا وعدم احتمال الجفا على مناقشة الحبيب على اخلافه
ولومه على عدم موافاته كما قال ابن سناء الملك مخاطبا محبوبه شعر

وانت الذي اخلفتني ما وعدتني ... واشمت بي من كان فيك يلوم

وعلى هذه الطريقة جرى الناظم رضي الله عنه في قصيدته واكثر فيها من
اخلاف الوعد وتعريضها من قوله في البيت السادس اكرم بها خلة لو انها صدقت
موعودها البيت وقوم يستعذبون المطل ويستحلون كواذب الاماني ويتسلون
بدعن الوصل كما قال الشيخ شرف الدين بن الفارض رحمه الله تعالى

عديني بوصل واعطني بنجازه ... فعندي اذا صح الهوى حسن المطل

واخرون ان الوعد والاماني سبب للحياة عند فوات الوصل كما قال العفيف اسحاق

لولا مواعيد امال اعيش بها ... لمت يا اهل هذا الحي في زمني

وكذلك باختلاف تركيب المحبين في القرب والبعد والقوة والضعف

البيت الثاني عشر

ارجو وامل ان تدنو مودتها ... وما اخال لدينا منك تنويل

قوله

قوله ارجو اي يغلب على ظني تقول رجوت الشيء ارجوه رجا بالمد اذا غلب على
ظنك حصوله وقوله وامل بمد الهمزة وضم الميم معناه ارجو ايضا يقال املت
الشيء امله بضمها مع المد الا ان الرجا لا يكون الا في الممكن والامل يكون
في الممكن والمستحيل ولذلك حسن الجمع بينهما لحصول مغايرة ما ثم ان جعل قوله
في البيت العاشر فلا يغرنك خطابا لنفسه وان التفت من التكلم في قوله
في اول القصيدة تقلبي اليوم متبول في قوله فلا يغرنك خطابا لنفسه على ما تقدم
كان في قوله التفات ايضا من الخطاب في قوله فلا يغرنك الى التكلم في قوله ارجو
وامل ويكون قد رجع الى حال التكلم الاولى وان جعلنا قوله فلا يغرنك خطابا لغيره
فلا التفات كما لا يكون التفات هناك وقوله ان تدنو اي ان تقرب وقوله
مودتها اي مودة سعاد والود خلاف العداوة وقوله وما اخال اي وما اظن
وما اخال بكسر الهمزة على الافصح ويجوز فتحها وهي لغة شاذة وقوله لدينا
اي عندنا ومنه قوله تعالى والقياسيدها لدى الباب اي عند الباب وقوله منك
والتقدير ارجوا وامل ان تدنو مودتها وما اخال لدينا منها تنويل والتنويل
العطا والمراد هنا الوصل ومعنى البيت ان مع اتصافها بالجفا واخلاف الوعد
وعدم الوفا بالعهد لا اقطع الرجا من مودتها ولا ايئس من وصلها بل ارجو ذلك
وامله وان كان فيه بعد وبيانه من وجهين احدهما انه لما وصفها باوصاف
القطيعة والجفا من اول البيت السابع الى اخر البيت الحادي عشر على ما تقدم
بيانه في مواضعه اخذته دهشة المحبة فتهل عما هي عليه من ذلك فتعلق
بالرجا وجنح الى الامل فقال ارجوا وامل ان تدنو مودتها اذ لا يليق بالشخص
ان يقطع رجاه من مطلوب فقد قيل من طلب شيئا نالة او كاد بل ربما كان
غير المرجو اقرب الى الحصول من المرجو قال الحسين ابن علي كرم الله وجهه كن لما
ترجوه ارجو منك لما لا ترجوه فان موسى عليه السلام خرج يقتبس نارا فلم
يضفر بها ورجع بنبوة مرسلا وسد در القايل

وقد يجمع الله الشتيتين بعد ما ... يظنان كل الظن ان لا تلاقيا

ثم بان الى عقله فتذكر ما هي عليه من الاوصاف المخالفة لذلك فقال وما اخال لدينا

الى الخطاب صح

منك تنويل وهذا النوع يسمونه اهل البديع الرجوع لانه يرجع الي الكلام السابق
بالنقض كقول ابن النظير

اليس قليلا نظرة ان نظرتها ولكن ليس منك قليل

فانه اولا استقل النظرة ثم تذكر ان ذلك ذهاب من حيث عد النظرة من محبوبه قليلا
فقال وليس منك قليل الثاني ان يكون ان الرجا والامل وقع منه علي سبيل تعليل
في الاحسن ومراوحة كي لا يغلب عليها الاياس كما قيل

اعلل بالمنى قلبي لعلي اروح بالاماني الهم عني
واعلم ان وصلك لا يرجي ولكن لا اقل من التمني

فان قيل كيف صاغ لديه حصول المودة بقوله وما اخال لدينا منك تنويل
بعد رجايه بقوله ارجوا وامل ان تدنو مودتها فالجواب عنه بوجهين احدهما
اجاب به ابن هشام ان المودة والتنويل شيئان لا شيء واحد ولا تمتنع ان توده
بقلبها وتمتنع من نوالها الثاني ان يكون نفي حصول التنويل من حيث بعدها وتوحش
ارضها كما اشار اليه في البيت الذي يليه البيت الثالث عشر

امست سعاد بارض لا يبلغها الا العتاق النجيبات المراسيل

قوله امست يحتمل معنيين احدهما ان يكون المراد دخلت في وقت المسا
فيكون مقابلا لغداة من قوله في البيت الثاني من القصيدة وما سعاد غدات
البين اذ رحلوا ويكون المعني انها ارتحلت غدوة وامست بارض بعيدة ويكون
قد وصفها في رحيلها بسرعة السير بحيث سارت في اليوم الواحد الي مسافة لا
تدرك الا العتاق النجيبات المراسيل من الابل علي ما ياتي تفسيره خصوصا وقد
تقدم في البيت الثاني انه عبر عن رحيلها بلفظ الجمع اشارة الي انها رحلت
مع قومها والقوم انما يرحلون في الغالب باثقالهم فاذا بلغت المسافة البعيدة
علي الابل المثقلة كان ذلك في الغاية القصوي من سير الابل الذي رحلت بها
وسرعة سيرها الثاني ان يكون امست بمعني صارت ويكون المراد انها وصلت
في رحيلها الي ارض بعيدة في الجملة من غير تقدير وهو ابلغ في بعد المسافة
لان الوصف مستلزم لطول الزمن السير وهذا هو الظاهر وسعاد هي المحدث
عنها

عنها اولا واعاد اسمها بعد قوله ان تدنو مودتها بلفظ الغيبة لانه قصد استئناف
نوع اخر من الكلام وهو وصف ارضها بالبعد وذكر ما يتوصل به لذلك من وصف
الناقة وقوله بارض اي في ارض كما في قوله تعالي وما كنت بجانب الغربي اي في
جانب الغرب وقوله لا تبلغها الا العتاق اي لا تبلغ تلك الارض الا النوق العتاق
من الابل ومعني يبلغها اي يوصل اليها والعتاق بكسر العين جمع عتيق وهي الكرام
الاصول من الابل كانها عتقت من العيوب والمراد ما كان منها منسوب الي نتاج فحل
كريم كالامرية منسوبة الي مهرة قبيلة من قضاعة والعبدية منسوبة الي بني العبد
وهي مهرة ايضا والارحبية نسبت ايضا الي بني الارحب وهي قبيلة من همدان
وهن قبايل معروفة بكرام الابل والعنزية والشدقمية والحزيلية وكالداغرية
نسبت الي عنزة وشدقم والجزيل وداغر وهي فحول كريمة والنجيبات باسكان الياء
جمع نجيب قيل هي الكريمة الاصل ويكون تاكيدا لقوله العتاق قيل القوية الرقيقة
الرجلة وقيل النفيسة الفاضلة في نوعها ويروي النجيبات بتشديد الياء
وهي السريعات والمراسيل بفتح الميم جمع مرسال بكسرها السريعات من قولهم ناقة
مراسل بفتح الراء واسكان السين اذا كانت سريعة ومعني البيت ان محبوبته
صارت الي ارض بعيدة لا يوصلها اليها الا النفايس من الابل القوية السريعة
السير ليعلم مسافة ما بينه وبينها ثم معني البيت يرجع الي مقصدين الاول
بقراها بقوله بانت سعاد ثم اتبعه بالثاني بذكر رحيلها بقوله وما سعاد غدات
البين اذ رحلوا واتي علي ذكر اوصافها المحمودة من الحسن والجمال الذي لا يلام علي
العشق معه لايم ولا يليق عند الاتصاف به ان يعدل معه عادل ثم اعقبه بذكر
اوصافها في العشرة من الصد والجفا وما في معناه في الابيات المتعددة بعد ذلك
ثم اعقبه بذكر ما حملته عليه المحبة من الطمع والامنية بقوله ارجوا وامل ان تدنو
مودتها ثم استبعد ذلك في بقية لو كانت قريبة ربما امكن استعطافها
بالتودد والتملق وغيرها من اسباب الوصلة واستكفي بالنظر ان امكن واقنع
بقرب الدار ولات حين العقايل وقد زعموا ان المحب اذا دنا يمل وان النائي يشفي من وصله
بكل تداوينا فلم يشف ما بنا علي ان قرب الدار خير من البعد

واعلم ان بعد الاحباب عذاب واذا كان الحب مع قرب الدار لا يشفي غليله
ولا يشفي عليله فكيف يصبر على البعاد او يلذ لطبيب الرقاد وكيف يطيق
البعد من يقول شعر

وكدت وهو يجيء ان اقول له ٭ من شدة الحب قد ابعدت فاقترب

او من يقول شعر

سريت اليه في الظلام كانه ٭ صريع كرى والنجم في الافق شاهد
فلو ما رجت روحي بقرب لروحه ٭ لقلت ادن مني ايها المتباعد

او من يقول شعر

ومن عجبي اني احن اليهم ٭ واسال عنهم من يراهم معي
وتطلبهم عيني وهم في سوادها ٭ ويشتاقهم قلبي وهم بين اضلعي

المقصد الثاني المبالغة في ذكر البعد بحيث لا يبلغ المقصد اليها الا بالابل
لها دون غيرها بالاوصاف المتقدمة والاشارة في البعد فيه من وجهين
الوجه الاول اختيار الابل لها دون غيرها بالاوصاف المتقدمة من نوع
المراكب فان الخيل وان كانت اسرع منها سيرا فانها في العدو والاسراع
على المسافة القصيرة بخلاف الابل فانها لها قوة على طول السير مع الاسراع
مع ما ينضم الى ذلك من طاقة حمل الاثقال وتاهيك ما اخبر الله تعالى به
عنها من تبليغ المسافة البعيدة بقوله تعالى وتحمل اثقالكم الى بلد لم
تكونوا بالغيه الا بشق الانفس الوجه الثاني وصف الابل الموصلة
اليها بالاوصاف البعيدة التي ذكرها لان كل نوع من الابل يوصل اليها
وقد وصف الابل الموصلة اليها بثلاثة اوصاف وهي العتاق النجيبات
المراسيل والى هذا الوصف ترجع ساير الاوصاف المحموده وهي راجعة
باعتبار تفاسيرها المتقدمة الى اربعة اوصاف هي المعتبرة في اوصاف الابل
كونها كرام الاصول وهو المعني بالعتاق وذلك ان الكريم الطيب الاصل
لا يصدر عنه الا كريم الفعال كما ان اللئيم الاصل لا يصدر عنه الا مثل ذلك كما قيل

كل امرئ يوما راجع لشيمته ٭ ان التخلق يابى دونه الخلق ٭

وما زالت

وما زالت العرب تعتبر طيب الاصل وكرم المجد في ابلها وخيلها كما تعتبره
في نفسها الوصف الثاني كونها قوية لانها كلما كانت اقوى واصلب كانت
على الحمل اقدر وعلى السير ابلغ فتكون على القصد اعون بخلاف ما اذا سلبت
وصف القوة فانها لا تبلغ الى المقصد وان كانت سريعة لانها ربما تكون
لا تطيق الحمل ولكنه خفيفة في السير ٭ البيت الرابع عشر

وما يبلغها الا عذافرة ٭ لها على الاين ارقال وتبغيل

قوله وما يبلغها الا عذافرة اي وما يبلغ الارض التي امست بها سعاد
الا ناقة عذافرة والعذافرة بضم العين واسكان الذال وبعد الالف فاء
وراء مفتوحتان الناقة الصلبة العظيمة والجمل عذافر اذا كان كذلك
وقوله لها اي لتلك الناقة والاين بفتح الهمزة واسكان الياء تحت وبعدها
نون الاعياء والتعب والارقال بكسر الهمزة واسكان الراء المهملة وقاف
بعدها الف ولام ضرب من السير مربع قال الجوهري هو نوع من الخبب ويتبع
على ذلك بن هشام كما قال ذلك في بيت من قصيدة المصري شعر

هل يبلغني اليها حسرة اجد ٭ يخلو بها في الفلا الارقال والخبب ٭

وقال بن الاثير هو فوق الخبب وفسر في كفاية المتحفظ الخبب بان يرتفع
عدو البعير حتى يراوح بين يديه واعلم ان سير الابل في الاسراع على مراتب
فاولها العنق بفتح العين والنون وقاف في اخره وهو الذي يتحرك فيه
عنق البعير ودونه وما اعلاه وساير مراتبه فللناس فيه اختلاف لا يحله
هذا الشرح والذي ذكره ابن اصبع الازدي في ارجوزته ان اعلاه التشعر
بفتح التاء المثناة فوق والشين المعجمة وضم العين المهملة المشددة وبعدها
راء مهملة وهو غاية الطاقة في السير قال والارقال دونه في الرتبة والتبغيل
بفتح التاء واسكان الباء وكسر الغين بعدها ياء ساكنة ثم لام ضرب من السير
ايضا فيه اختلاف بين العنق المتقدم ذكره وبين الهملجة فيكون
اعلا من العنق وكانه شبيه بسير البغل لشدته ومعنى البيت انه لا يبلغ
ارض سعاد الا الناقة الشديدة العظيمة التي لا تكل بالتعب ولا يضعف

سيرها بالاعيا ليوح بذلك ولها توسم موصل الي محبوبته وبالغم بها الي قصده
الطيب في مرحها وامعن في وصفها في هذا البيت بوصفين من اوصاف الابل
المحمودة الوصف الاول كونها عظيمة صلبة وهو المعني بالهذافرة واما كونها
عظيمة فلما فيه من الزين والجمال المتبغي في الابل بقوله تعالي ولكم فيها جمال
حين تريحون وحين تسرحون وانما كان ايضا دليل القوة واما كونها صلبة
فلانه دليل القوة وكثرة الحمل وناهيك ان الله تعالي قررها في الذكر والامتنان
بالسفن اشارة الي عظم خلقها وطاقتها علي الحمل فقال تعالي وجعل لكم من
الفلك والانعام ما تركبون الوصف الثاني كونها لا تضعف بكثرة السير
وهو المعني بقوله لها علي الاين ارقال وتبغيل وذلك انه اذا كان سيرها مع
الاين وهو التعب علي هذين الضربين السريعين من السير فما ظنك بها اذا
كانت في حال انشاطها ثم قد تقدم ان غاية الطاقة في السير التشعير
والارقال دونه في المرتبة والتبغيل فوق العنق فيكون سيرها في حالة التعب
دايرين الارقال الذي هو علي مراتب السير بعد التشعير والتبغيل الذي
هو فوق العنق والمعني انه اذا اشتد بها يكون غاية ما ينتهي اليه في
تعليل السير التبغيل واذا خفف تعبها ترقت الي الارقال في حال النشاط
يكون سيرها التشعير واذا كانت عظيمة صلبة مع اشغالها علي الخفة
والاسراع وعدم الاعيا وجهدت نفسها في السير علي هذا الاسلوب بلغ بها
الي المدا التبعيد في الزمن القصير **البيت الخامس عشر**

من كل نضاخة الذفري اذا عرقت ۞ عرضتها طامس الاعلام مجهول ۞

قوله من كل نضاخة الذفري اي الناقة المذكورة من كل ناقة نضاخة الظفري
بالعرق اذا عرقت هو يحتمل معنيين اما ان يريد انها ناقة من النياق
المتصفة بهذه الصفة واما يريد اصل وجودها من كل ناقة هي كذلك
ويكون ذلك وصفا لها كما انه وصفها بكرم الاصل وهذا هو الذي رجحه ابن هشام
في اعراب القصيدة والنضاخة بفتح النون وتشديد الضاد وبعد الالف
خاء ثم تاء التانيث الكثيرة السيلان يقال عين نضاخة اذا كانت
كثيرة

كثيرة الماء الغزار ومنه قوله تعالي فيهما عينان نضاختان والذفري
بكسر الذال المعجمة واسكان الفاء والراء المهملة وهي المغرز التي خلف اذان الناقة
والبعير وهي اول ما يعرق منهما واقام المفرد فيه وقام التثنية والمعني
نضاخة الذفري لان لكل ناقة ذفريان وقوله اذا عرقت اي انها اذا عرقت
نضح ذفراها بالعرق وكانه يصفها بشدة نفسها في السير حتي يصير العرق
يسيل من ذفريها وقوله عرضتها كامس الاعلام مجهول اي عرضتها طريق
كامس الاعلام اي عرضة تلك الناقة وهو بضم العين واسكان الراء وفتح
الضاد وقد ذكر الشيرازي في شرح هذا البيت معنيين الاول من قولهم
بعير عرضة السفر اي قوي عليه وعلي هذا اقتصر ابن الاثير في نهايته ويكون
المعني ان لها قوة علي معرفة الطريق الدارسة الثاني انه من العارضة
الذي يعرض الشيء فيمنعه ومنه قوله تعالي ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم
ان تبروا اي لا تجعلوا الحلف بالله متعرضا لايمانكم ان تبروا ويكون المعني
اذا عرض لها طريق دارس استخرجته قال ابن هشام ولا يساغ الواحد من
المعنيين في العرضة هاهنا بمعني الهمة فيكون عرضتها في البيت معناه
همتها ومنه قول حسان بن ثابت رضي الله عنه ۞

وقار الله قد اعدت جندا من الانصار عرضتها اللقاء ۞

والكامس الاعلام المراد به الطريق الدارس الذي محيت اثاره والاعلام
العلامات والمراد ما يستدل به علي الطريق من اثر مشي وغيره والمجهول
الذي لا يعرف وهو تاكيد لقوله طامس الاعلام مجهول ضرورة ومعني
البيت ان هذه الناقة لها اهتمام بالسير ومعرفة بالطريق المجهولة التي لا
تدرك وذلك انه وصفها فيه بوصفين الوصف الاول كثرة العرق من
ذفرتها والعرق لا يكون الا مع اشتداد في السير واهتمام به خصوصا مع
ما تقدم ووصفها بالقوة والصلابة لان العرق مع القوة لا يكون الا من كثرة
كد وشدة سير وناهيك بهما وصف بهما من ذفراها من النضخ الذي هو في غاية
الكثرة علي ما تقدم شرحه الوجه الثاني المعرفة بالطرقات الطامسة الاعلام الذاهبة الاثار

لكثرة الاسفار وسلوكها المفازات وهذا وصف شريف من اوصاف الابل
فربما ضل الراكب عن الركب لنوم او غيره فتذهب عليه معرفة الطريق فيهلك فاذا
كانت ناقته لها دربة بمعرفة الطريق نجت به من ذلك المفاز وخلصته من الهلكة
وقد حكي ابو علي ابن سينا انه كان في ركب فضلوا عن الطريق في مفازة عظيمة كادوا
يهلكوا فيها فعمد الى بعير كان معه فالقوا زمامه على غاربه وارسلوه فسار بهم
وما زال يقفو الطريق حتى خلص بهم الى المقصد الذي كانوا قصدين فسبحان
المطعم المعين الذي يعين

البيت السادس عشر

ترمي الغيوب بعينيه مفردلها ٭ اذا توقدت الحزاز والميل

قوله ترمي الغيوب اي ترمي تلك الناقة الغيوب بضم الغين والياء وبعده
الواو باء موحدة جمع غيب كفلوس جمع فلس او جمع غايب كشهود جمع شاهد
والمراد اثار الطريق التي غابت معالمها عن العيون وخفيت عن الابصار
وقوله بعينيه مفرد اي ترمي الغيوب بعينين مثل عينيه مفرد وهو الثور
الوحشي الذي انفرد عن اشبهه وغلب عليه وصف المفرد كما غلب التمر على الطبا
والدهق بفتح الهاء وكسرها الابيض وصف الثور بكونه ابيض للتوقد المراد هنا
اشتداد الحر تشبيها له بتوقد النار والحزاز بكسر الحاء وفتح الزاي وبعد الالف
زاي ايضا جمع حزيز بحاء مهملة مفتوحة وزايين بينهما ياء مثناة تحتية
الغليظ الصلب من الارض والميل بكسر الميم جمع ميلاء بفتحها وهو ما تعقد من
الرمل وتراكم ومعنى البيت ان هذه الناقة اذا اشتد الحر وتوقدت الرمال
والامكنة الصلبة بحر الهواجر وقدت العيون لشدة تاثير الشمس كانت حينئذ
في غاية تحديق البصر بمعرفة الطريق الدارسة الاثار وذلك انه لما ذكر في البيت
الذي قبله ان همها الطريق الطامس الاعلام المجهولة المسالك بين في هذا
البيت وجه اهتمامها بانه لذلك فشبهها بالثور الوحشي الذي قد الف البراري
والفلوات وخبرها بكثرة مروره فيها واعتاد الصبر على شدة الحر فلم يكن الحر
ليمنع في بصرها ولم يؤثر في عينها بان كانت همتها ما هي عليه من استخراج
المعيبات في الطريق وخفي المسالك حتى انها بمجرد مرمى بصرها الى الارض
تدرك

تدرك الطريق وتبين السبيل فما ظنك بها في غير هذه الحالة فان قيل لم خص
الثور الوحشي بالتشبيه به في حدة البصر دون غيره من الحيوانات ولم خصه
بذلك في حالة تفرده دون غيره الجواب ان الثور الوحشي من احد الوحوش
نظرا وان انفرد عن انتشه يكثر حينئذ تحديقه في النظر ويقوي نشاطه وخفته
فان قيل لم خصه بالبياض ولا مدخل للون في شبيهه الناقة بالثور في حدة البصر
فالجواب في ذلك معنى اخر غير تحديق النظر وحدته وهو الحسن لان غير البقر
الوحشية في غاية من السواد فاذا الثور مزاج سواد عينيه ابيض كان في
غاية من الحسن

البيت السابع عشر

ضخم مقلدها عبل مقيدها ٭ في خلقها عن بنات الفحل تفضيل

قوله ضخم مقلدها اي ما يبلغها الاناقة عنا قرة ضخم مقلدها والضخم بفتح
الضاد واسكان الخاء الغليظ والمقلد بضم الميم وفتح القاف وتشديد اللام
موضع القلادة من العنق ويجوز ان يريد جميع العنق تشبيه الملك باسم
الجزء وهو يريد في البيت الذي يليه غلبا فان المراد بها الغليظة العنق كما سياتي
في موضعه انشاء الله تعالى وقال ابو هلال العسكري رحمه الله تعالى في كتابه
الطاعتين ان وصف المقلد بالغلظ من خطا الوصف وانما توصف النجايب
برقة المدمج فتعين دلة على جميع العنق وقوله عبل مقيدها اي مقيد ذلك
الناقة والعبل بفتح العين واسكان الباء الغليظ ايضا والمقيد بضم الميم
وفتح القاف وتشديد الياء موضع القيد منها ويروي فحم بفتح الفاء
واسكان العين المهملة بدل عبل وهو معناه وقوله في خلقها عن بنات
الفحل تفضيل اي في خلق تلك الناقة عن بنات الفحل والخلق بفتح الخاء
واسكان اللام بمعنى الخلقة والمراد بها الاناث من الابل والفحل المراد فحل الابل
المعد للضراب والتفضيل المراد به الزيادة في الفضل وهو محتمل المعنيين الاول
ان يريد انها مفضلة على غيرها في عظيم الخلقة والضخامة الثاني انها
مفضلة على غيرها في حسن التكوين ويحتمل ان يريد هما جملة ومعنى
البيت ان هذه الناقة في غاية القوة والضخامة والحسن على ما يقتضيه

شرح كلامه وذلك انه وصفها بثلاثة اوصاف الوصف الاول ضخامة المقلد وقد تقدم
ان الظاهر ان المراد به جميع العنق وضخامة العنق دليل ضخامة جميع هامتها
وعظمها الوصف الثاني عبالة المقيد على ما تقدم شرحه وكان ذلك منها موذن
بقوتها وصبرها على السير وطاقتها على اكثر الحمل الوصف الثالث تفضيلها على غيرها
من الابل فان حملناه على عظم الخلقة وكبر الهامة كان في معنى ما تقدم من
ضخامة المقلد وعبالة المقيد ويكون بين اجزائها مناسبة وهو من صفات
المدح ايضا بخلاف ما اذا كان بعض اعضائها لا يناسب بعضا في الضخامة
والرقة فانه مما يذم وان حملناه على حسن التكوين كانت قد جمعت بين ذلك
وبين القوة في قوله عبل مقيد هاكما تقدم وان حملناه على عظم الخلق وحسن
التكوين جميعا كانت قد جمعت بين القوة وعظم الخلق وحسن التكوين
والله تعالى اعلم بالصواب

البيت الثامن عشر

غلباء وجناء علكوم مذكرة ۞ في دفها سعة قدامها ميل

قوله غلباء وجناء علكوم مذكرة اي وما يبلغها الاناث عذافرة غلباء الى اخره
الغلباء بفتح الغين واسكان اللام وبعد الباء الفوقية الغليظة العنق وقد
يجري في غير العنق ايضا كما في قوله تعالى وحدائق غلبا اي غليظة الاشجار
والوجناء بفتح الواو واسكان الجيم وبعد النون الف محتملة المعنيين
احدهما ان يريد به العظيمة الوجنتين وهما طرفا الخد الثاني ان يريد به
الصلبة اخذا من الوجنتين وهو الصلب من الارض والعلكوم بفتح العين
واسكان اللام الشديدة وهو من الاوصاف المختصة بالابل ويستوي
فيها الذكر والانثى والمذكرة بالذال وفتح الكاف المشددة التي هي في عظم خلقها
كالذكر من الاباعر وقوله في دفها سعة والدف بفتح الدال وتشديد الفاء
الجنب والمراد جنباها جميعا والسعة بفتح السين ضد الضيق قوله قدامها
ميل ضد خلف والميل بكسر الميم مد البصر وهو مقدر بالذراع باربعة الاف
ذراع بالهاشمي وهو ذراع قدره بنو العباس حين افضت الخلافة اليهم
لقياس الارضين ونسب الى بني هاشم لكون بني العباس من جملتهم
وما

وما وقع لبعض اصحابنا الشافعية من نسبته الى هاشم جد النبي صلى الله عليه
وسلم نسب فيه الى الوهم وقال ابو قاسم الزجاجي في شرح مقدمة اداب الكاتب
وهو ذراع وثلث بذراع اليد ووقع في كلام الجيلي الشافعي ان ذراع بذراع
اليد والظاهر الاول وهو اربعة وعشرون اصبع كل اصبع سبع شعيرات
معترضات بطن لصدرهن لظهر الاخرى والشعيرة سبع شعرات من شعير
البرذون مستعرضاته بطن لظهر بالخط اربعة الاف خطوة كل خطوة
ثلاثة اقدام وبالبرد باربعة برد كل بريد ثلاثة فراسخ وبالزمن يسير يوما
معتدلا بين الليلة بعدها بسير الاثقال ودبيبها اقدام قوله قدامها ميل
يحتمل معنيين احدهما ان يريد طول العنق وان عنقها مديد للمبالغة
في طوله وعليه اقتصر بن هشام في شرحه على الثاني ان يريد سعة الخطوة
وان مقدار خطوتها مد البصر قال بعضهم يصف فرسا

كم سابح اعددته فوجدته ۞ عند الكريهة وهو نسر طاير
لم يرم قط بطرفه في غاية ۞ الا وسابقه اليها الحافر

ومعنى البيت انها مشتملة على القوة والصلابة وذلك انه وصفها بستة
اوصاف الاول غلظ العنق وهو المعنى بقوله غلباء على ما تقدم ذكره
وقد تقدم في البيت الذي قبله وما يوافقه من شرح قوله ضخم مقلدها
فيكون هذا الوصف قد تكرر معه في بيتين متواليين وهو اخف من
تخصيص بالمقلد بموضع القلادة على ما تقدم من كلام العسكري ان
النجايب انما توصف برقة المدبج الوصف الثاني عظم الوجنتين وهو المراد
بالوجناء على ما تقدم وهو من الاوصاف المحمودة والابل بخلاف الفيل
فانه يحمد فيها قلة لحم الخدين فان حمل لفظ الوجناء على الصلبة وهو الشرح
الثاني فيها كان ذلك موافقا لاحد مولعي العذافرة في البيت الرابع عشر
فان المراد بها الصلبة العظيمة على ما تقدم الوصف الثالث بكونها شديدة
وهو المراد بالعلكوم وهو المراد بالقوة وقد تكرر معها فلا شك
انه اعلى اوصافها الوصف الرابع كونها عظيمة الخلقة وهو المعنى بالمذكرة

وقد تكرر الوصف ايضا على الزقد يراد بالمذكرة ما اعم من عظم الخلقة فقد قال بعض
الحكما ان المذكر من الابل احسن خلقا واقل عيبا واعز نفسا واكرم عهدا
وادوم ودا واصبر على المكروه النازل به من الادمي الوصف الخامس كونها
انها واسعة الجنبين وهو موكد للوصف الرابع لاستلزام عظم الخلقة
الوصف السادس طول العنق وهو المراد بقوله قدامها ميل على احد الترجيحين
فيه وفيه من تمام حسنها ويكون قد وصفها في اول البيت بغلظ العنق وفي
اخره بطوله فاكمل لها الوصفين جميعا وان حملنا قدامها ميل على سعة الخطو
كان وصفا لها بسرعة السير الذي هو المقصود الاعظم وقد تكرر

البيت التاسع عشر

وجلدها من اطوم ما يوئيسه طلح بضاحية المتنين مهزول

قوله وجلدها من اطوم اي جلد تلك الناقة والاطوم بضم الطاء كجلجال
وهو بفتح الهمزة الزراقة وقيل السلحفاة البحرية او سمكة غليظة الجلد
يشبه جلد البعير الاملس يتخذ منها الخفاف للحمالين ويخصف بها النعال
ويكون التقدير وجلدها كجلد اطوم وقوله ما يوئيسه طلح اي ما يوثر فيه طلح
ويوئيسه بضم الياء المثناة من تحت وفتح الهمزة وتشديد الياء المثناة
من تحت المكسورة وضم السين والطلح بكسر الطاء واسكان اللام وبعدها
حاء مهملة القراد وقوله بضاحية المتنين اي ما يوثر الطلح المذكور في
ضاحية المتنين والمراد بالضاحية البارزة للشمس ومنه قوله تعالى
وانك لا تظمؤا فيها ولا تضحى اي ولا تبرز للشمس والمتنين جانبا
ظهرها وهو ما اكتنف صلبها من يمين ومن شمال من لحم وعصب
وقوله مهزول ما يوثر فيه طلح مهزول ومعنى البيت ان هذه الناقة في
غاية الصلابة لسمنها وضخامتها بحيث ان القراد لا يوثر في جلدها
وذلك انه ان فسرنا الاطوم الذي جعل جلدها منه بالزراقة والسلحفاة
البحرية والسمكة الغليظة الجلد كان وصفها باغلظ جلد واصلبه وان
شرحناه بالحصون المبنية بالحجارة كان ابلغ في الصلابة ثم اكد ذلك
من ثلاثة

من ثلاثة اوجه الاول انه جعل ظهرها في هذه الحالة بارزا للشمس وهذا المراد
بالضاحية على ما تقدم ذكره والمعنى فيه ان القراد في الشمس تقوي همته
وتهيج حركته واشتداده على امتصاص الدم بخلاف حالة البرد فانه تضعف
قوته فاذا عجز عن التاثير فيها في حالة بروزها للشمس فلانه يضعف في
البرد وفي الوجه الثاني لا يستطيع التاثير في جلدها مع شدة الجوع الذي هو
فيه لشدة انهماكه على امتصاص الدم واكثر ولوعا والله تعالى اعلم بالصواب

البيت العشرون

حرف اخوها ابوها من مهجنة وعمها خالها قود اشمليل

قوله حرف اي تلك الناقة حرف والمراد بالحرف هنا حرف الجبل وهي القطعة
الخارجة عنه شبهها به لقوتها وانها لا تتاثر بما ياتي عليها كما ان حرف الجبل
لا تتاثر بما ياتي عليه لصلابته اذ ينصدع ما حوله ويتساقط لطول
الزمن وحرارة الشمس وانجراف السيل ولا يبقى فيه الا اصلب الحجر
واشده ولا يجوز ان يراد بالحرف في كلامه حرف الكتابة اشارة الى رقتها
وضمورها لان ذلك ينافي ما تقدم من وصفها بعظم الخلقة وسعة
الجنب وغير ذلك وقوله اخوها ابوها يحتمل معنيين الاول ان يكون
اخاها يشبه اباها في الكرم فتكون موصوفة بكرم النسب وجودة
الاصول الثاني ان يريد اخاها اباها حقيقة ويكون المعنى انها ابل كرام
يحمل بعضها لحفظ اصولها وتصوير ظاهر وهو ان يضرب فحل امه فتاتي
بناقة فيكون ذلك البعير ابوها وهو اخوها لامها وقوله من مهجنة
اي تلك مولدة من ناقة مهجنة او من بناة مهجنة بضم الميم وفتح الهاء
وتشديد الجيم المفتوحة وفتح النون الكريمة الابوين من الابل وهو مما
يمدح هاهنا واصل المهجنة عظم الخلق وغلظ العنق والمهجن من الخيل
ما كان ابوه عربيا وامه عجمية وهو عيب ونقص في الخيل وقوله وعمها
خالها يحتمل ايضا وجهين من الوجه الاول ان عمها يشبه خالها في الكرم
الوجه الثاني ان عمها هو خالها حقيقة وصورته ان يضرب ابو ابيها

ام امها فتاتي ببعير فذلك البعير عمها لانه اخو ابيها لابيه وخالها لانه اخو
امها لامه ويمكن ان يصور بصورة اخرى وهي ان اخاها من ابيها ضرب اختها
من امها فاتت ببعير فيكون ذلك البعير عمها لانه اخو ابيها لابيه وخالها
لانه اخو امها لامه على ان مثل هاتين الصورتين تاتي في الادميين في الانكحة
الشرعية اما تصور ان يكون اخوها ابوها وعمها خالها في صورة واحدة وهو
ان يضرب فحل بنته فتاتي ببعير فيضربها احدهما فتاتي بناقة فابوها
احد البعيرين وهو اخوها لامها وعمها البعير الثاني لانه اخو ابيها لابيه
واحد وخالها لانه اخو امها لابيه وقوله قوداء بالمد وهو بفتح القاف
واسكان الواو وبالدال المهملة الطويلة الظهر والعنق وقوله شمليل
بشين معجمة مكسورة وميم ساكنة ولام مكسورة بعدها ياء ولام
الخفيفة السريعة ومعنى البيت ان هذه الناقة مع كرم اهلها خالصة
النسب لم يشبها شائبة في نسبها ولا ترعها عرق في كرمها وذلك ان جعل
علامتها في النسب في الابوة والامومة والاخوة راجع الى اصل واحد
لم يخالطه غيره من ابل اخرى يوشك ان يكون غير جنسه واعلم ان قوله صدر
البيت بقوله حرف وقد تقدم ان المراد بالحرف الصلبة القوية ثم اتبعه
بذكر تخلل نسبها اشارة الى ان مثل ذلك يوثر في الابل القوة لرجوعها
الى نسب محقق فيه ذلك الا ان مثل ذلك اذا وقع في الادميين اثر
الضعف ولحاق البدن وقد روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال لا تناكحوا القرابة القريبة فان الولد يخلق ضاويا والضاوي
الشديد النحيف والمعنى فيه ان الشهوة انما تثور بقوة الاحساس
بالنظر والتمسس وانما يقوى الاحساس بالامر الجديد الغريب اما
المعهود الذي دام النظر اليه مدة فانه يضعف الحس عنه تمام ادراكه
والتاثر به فلا تثور الشهوة وهذا المعنى مفقود في الابل فانها مجردة
شهوة من غير عقل فكانت شهوتها في الغريب وغيره على حد واحد
انما يعتبر فيها بقوة الفحل واصالته ثم انه لما اثبت للناقة كرم الاصل
بقوله

بقوله من مهجنة وخلوص النسب بقوله اخوها ابوها وعمها خالها رتب لها ذلك
على صفتين من صفات كرام الابل الصفة الاولى طول الظهر والعنق وهي
المعنى بقوله قوداء على ما تقدم شرحه وهو من اوصاف الابل التي تمدح بها
الصفة الثانية الخفة والسرعة وهو المراد بقوله شمليل وهو من اجمل الاوصاف
التي فيها فان قيل قد ذكر وصف الخفة والسرعة بقوله النجيبات المراسيل
على ما تقدم اعاده هنا ووصف بطول العنق بقوله قوداء الجواب ان
ذكر السرعة او لا راجع الى الوصف العام في الابل حيث قال امست سعاد
بارض لا يبلغها الا العتاق البيت وذكره هنا مقصوده على هذه الناقة
المخصوصة وكيف ما كان فالخفة والسرعة هي المطلوبة في الناقة لهذه
الحالة الغرض سرعة توصله الى محبوبته مع بعد مسافة ما بينه وبينها
وان وصف طول العنق فانه في قوله قد امها ميل جعله وصفا مستقلا بهذا
المعنى وفي قوله قوداء اراد به طول الظهر وطول العنق جاء فيه

البيت الحادي والعشرون

يمشي القراد عليها ثم يزلقه ... منها لبان واقراب زهاليل

قوله يمشي القراد عليها اي على الناقة والقراد بضم القاف احدى القراد التي
كالغلام واحد الغلماد وقوله ثم يزلقه منها لبان بفتح اللام قيل هو الصدر
وقيل وسطه وقيل ما بين القدمين والمراد ان القراد يزلق من هذا المكان
والاقراب بهمزة مفتوحة وقاف ساكنة وراء مهملة وبعد الالف باء موحدة
الخواصر كايعاد جمع بعد وقوله زهاليل بفتح الزاي الملس ومعنى البيت
ان جلد هذه الناقة في غاية الملاسة لسمنها بحيث ان القراد لا يثبت عليها
بل اذا وقع على جسدها زلق وسقط عنه وذلك مما يستحسن في اوصاف
الابل وهذا البيت في الحقيقة مؤكد لقوله وجلدها من اطوم البيت المتقدم
قال ابن هشام لو ذكره الى جانبه كان اولى وذلك انه في ذلك البيت وصف
جلدها بالصلابة بحيث ان الطلح هو القراد لا يوثر فيه لصلابته وهذا
قدر زائد على ذلك وهو ملاسة جلدها بحيث ان القراد يزلق من عليه

الذي هو

فان قيل لم خص البدن والخواصر بازلاق القراد دون غيرها من ساير بدنها
الجواب ان هذين الموضعين احسن ما يكون في الناقة لملاستهما الارض
اذا بركت فاذا كان القراد يزلق عنها لملاستها فلان يزلق عن غيرها من
باب اولى فان قيل عطف قوله يزلقه بثم وهي للتراخي لانك ان قلت جاء
زيد ثم عمرو كان يقتضي ان بين مجيئهما زمن مهلة فان كان كذلك
فمقتضى قوله يمشي القراد عليها ثم يزلقه منها لبات الى اخره ان القراد لا يزلق
عنها بسرعة بل يبقى زمانا الجواب ان ثم قد تقع في كلام العرب لغير المهلة
كما في قول الشاعر كهز الرديني تحت العجاج جرى في الانابيب ثم اضطرب
اذ ليس المراد تاخر اضطراب الرمح عن زمن جريان هذه الانابيب فلذلك
لا يراد هنا تطاول من مشي القراد عليها وتراخي الازلاق عنها
والله اعلم بالصواب

البيت الثاني والعشرون

عيرانة قذفت بالنحض عن عرض ٭ مرفقها عن بنات الزور مفتول

قوله عيرانة اي تلك الناقة عيرانة والعيرانة بالعين المهملة واسكان
الياء وبعدها الراء ونون ثم هاء التانيث المشبهة في صلابتها عير الوحش
وهو حماره وقوله قذفت بالنحض اي رميت به قوله تعالى ويقذفون
بالغيب وقوله تعالى ويقذفون من كل جانب دحورا ويروى قذفت
بتشديد الذال للمبالغة والنحض بفتح النون واسكان الحاء المهملة
وبالضاد المعجمة اللحم وقوله عن عرض اي جانب والعرض بضم العين والراء
وبالضاد الجانب والناحية والمراد انها رميت باللحم من جوانبها ونواحيها
من شدة الشحم وقوله مرفقها عن بنات الزور مفتول عن بنات
زورها والمرفق بكسر الميم وفتح الفاء معروف وهو ما قام فيه المفرد
ايضا مقام المثنى ان لها في الحقيقة مرفقان والبنات جمع بنت والمراد
هنا ما حول الزور وما يتصل به من الاضلاع والزور قيل جميع الصدر وقيل
اوسطه وقيل اعلاه والمفتول المجافا والمراد ان مرفقها جاف عن صدرها
ومعنى البيت ان هذه الناقة تشتمل على ثلاث صفات تكون في الابل
المحمودة

المحمودة الصفة الاولى شدة الصلابة بحيث انها تشابه حمار الوحش في قوتها
وصلابتها وذلك ان حمار الوحش من اشد الحيوانات قوة واصلبها جسدا
وقد تكرر له وصف الصلابة في الناقة في غير موضع الا انه بالفاظ مختلفة
مخرجة التكرار في موقعها وقد يريد بذلك التاكيد فان هذا الوصف هو
المقصد الاعظم من الابل على ما تقدم ذكره قبل ذلك الصفة الثانية السمن
وهو المعني بقوله وقذفت بالنحض عن عرض على ما تقدم شرحه وقد تكرر له
ايضا هذا الوصف ايضا بالفاظ مختلفة والمعني بتكراره انه وصفها
بالسرعة والخفة وجهد منها التي تكون خارقة للعادة الصفة الثانية في مرفقها
عما حول زورها وهو المعني بقوله مرفقها عن بنات الزور مفتول والمعني فيه
انه اذا كان مرفقها على افيان عن صدرها لا يصيبها ضاعف ولا مار فيكون اسلم
لها في السير وابعد لها في العطب والمفتول المدمج المحكم والله تعالى اعلم

البيت الثالث والعشرون

كانما فات عينيها ومذبحها ٭ من خطمها ومن اللحيين برطيل

ما في كانما اسم بمعنى الذي موضعه نصب بكان والخبر بقوله برطيل وفات
قال ابو عمرو معناه تقدم وقال الاصمعي الوجه كانه فاتت العينين لا الجبهة
وقال هو ما انقطع من المذبح وفات العينين ومذبحها منصوب بالعطف
على عينيها والمذبح والمنحر واحد والخطم قال ابو عبيد والانف ورد عليه ذلك
بانه لا يختص بالانف بل هو الموضع الذي يقع عليه الخطام فيشمل الانف
وغيره ونظيره تسميتهم الموضع الذي يقع عليه الرمس وقد يشتمل في
الادمي كقول ابن العجاج يصف امراة

ازمان ابدت واضحا مفلجا ٭ اغر براقا وطرفا ابرجا
ومقلة وحاجبا مزججا ٭ وفاحما ومرسنا ومبرجا

الابرج الذي بياضه محدق بالسواد كله فلا يغيب من سواده شيئا يقال امراة
برجاء بينة البرج ورجل ابرج وجمعها برج بوزن البرج واحدي البروج
ولم يسمع وصف الانف بالمسرج قبل العجاج واختلف اهل اللغة في معناه

الاعلي ثلاثة اقوال الاول كالمسراح في البريق والثاني انه يحسن من قولهم
سراح الله وجهه ابن حسنة ولم يذكر صاحب الحكم سواه والثالث كالسيف
المسربجي في الرقة والاستوي وهو منسوب الرقين يقال سربج ولم يذكر البتريزي
غير هذا القول قال الاصمعي ما كنت اعرف المسرج ولا اسمعه الا في بيت العجاج
فسالت عنه اعرابيا فقال الا تعرف السربجيا يعني السيوف فقلت نعم فقال ذلك
اراد انتهي وارجح الاقوال من حيث الصناعة الثاني لان صفة المفعول لا تشتق
من اسماء الاعيان كما السراج وشد نحو قولهم اني ذلك ولا من اسماء النسب كالمسربجي
وانما يشتق من الفعل وارجحها من حيث المعني الاخير لانه نظير بانه يخص
الانف واللحيان بفتح اللام العظمان اللذان ينبت عليهما اللحية من الانسان
ونظير ذلك من بقية الحيوانات والبرطيل بكسر البا معول من حديد ايضا
وحجر مستطيل وصفها البيت الرابع والعشرون

• تمر مثل عسيب النخل ذا خصل • في غارز لم تخنه الاحاليل •

تمر بضم التاء المثناة من فوق مضارع امر منقول بالهمزة من مر وفاعله ضمير
الناقة ومثل صفة المحذوف اي ذبا مثل عسيب النخل وعسيب النخل
جريده الذي لم ينبت عليه الخوص فان نبت يسمي السعفا واما عسيبه في قول
امري القيس •

• اجارتنا ان الخطوب تنوب • واني مقيم ما اقام عسيب •
• اجارتنا انا غريبان ها هنا • وكل غريب للغريب نسيب •
• فان تصلينا فالقرابة بيننا • وان تهجرينا فالغريب غريب •

هو اسم جبل دفن فيه امري القيس وذا صفة ثانية او هو المفعول ومثل
حال منه وكانت في الاصل صفة له ثم تقدمت عليه والخصل جمع خصلة
من الشعر وفي معنيين علي نفسها في قوله تعالي في جذوع النخل وقول الشاعر
• يظل كان بنانه في مرجه • يحدي نعال السبت •
والغارز معجم الطرفين والمراد به هنا الضرع وجعل البتريزي اصله
من قوله غرزت الناقة بالفتح تغرز بالضم اذا مثل لبنها ولا ادري
ما معني

ما معني الاصل وتخونه اصله تنقصه اي انتقصه لانه يقال تخونني
فان حمي بتباين فحذفت احداهما كما حذفت من تتلون في قوله تلون في الثوابها
الغول والاحاليل بفتح الهمزة وبالحاء مخارج اللبن من الضرع والثدي والمعني
ان احاليل لا تحلب حتي ينقص الضرع بالحلب وجعل نفي النقص عن عرضها نفيا
له عن جميعها ومعني البيت ان هذه الناقة تشتمل علي ثلاث صفات من
الصفات المحمودة في الابل الاول غلظ ذنبها وطوله مستفاد ذلك من قوله
عسيب النخل علي ما تقدم بيانه وهو من الصفات المحمودة التي تكون في الابل
الصفة الثانية كونه كثير الشعر وهو المعني بقوله ذا خصل وهو من الصفات
المحمودة في تكوينها ايضا الصفة الثالثة كونها احاليلها لم تحلب اللبن لاذلك يكون
اقوي لها في السير وهو من الفعال المحموده البيت الخامس عشر

• قنوا في حريتها البصير بها • عتق مبين وفي الخدين تسهيل •

قوله قنوا في حريتها القنوا بفتح القاف واسكان النون وبالواو هي الحدبة
الانف ومنه قيل للرجل اقنا اذا كان كذلك ويروي وحنا بدل قنوا والحرتان
بضم الحاء وتشديد الراء وبعدها تا مثناه من فوق ثم الف ونون
الاذنان وقد روي ان النبي صلي الله عليه وسلم لما سمع هذا البيت قال
للصحابة رضي الله عنهم ما حريتها قال بعضهم عيناها ثم سكت الباقي
فقال النبي صلي الله عليه وسلم هما اذناها والبصير بها المراد به العارف بالابل
والعتق بكسر العين وفتح التا وفي اخره قاف كرم الاصل والمبين الظاهر
والخدان جانبا الوجه والتسهيل ان يكون اسيل الارتفاع فيهما ومعني
البيت ان هذه الناقة تشتمل علي ثلاثة اوصاف الوصف الاول كونها
قنوا وقد عد في جملة الاوصاف المحموده من الابل لكسر المنقول عن العرب
ان القنا عيب في الابل كما هو عيب في الخيل وان انشد علي الرواية الاخري
وهي وحنا لزم منه التكرار لتقدم هذا الوصف في البيت الثامن عشر
في قوله غلبا الا ان يقدم هناك شرح الوحنا بمعنيين احدهما

الصلابة والثاني العظيمة الوجنتين ويجوز ان يكون قصد هناك معنى
الصلبة لانه تكلم هناك في عظم خلقتها والمناسب لعظم الخلقة هو الصلابة
والقوة وان يكون قصد هناك العظيمة الوجنتين لانه هنا تكلم في حسن
الوجه والراس من الانف والاذنين والخدين فلا يلزم فيه تكرار المعنى
وان تكرر في الوصف فهو اولى الوصف بما يعد عيبا في الابل بل الوصف الثاني
حسن اذنيها بحيث انه اذا قابلها من لا معرفة بكرام الابل حكم عليها بانها
من النوق العتاق الكرام الاصول واعلم ان للسحق في الابل مما يدل على
كرم الناقة طول اذنيها والمحاسن الدالة على كرم الاصل لا يدركها الا العالم
بشانها كما في الخيل واشار الى قوله مبين على ان دلالة اذنيها على عتقها
لا يخفى على ذي بصيرة الوصف الثالث تسهيل خديها بحيث لا نتوء فيها
ولا ارتفاع وهو من الصفات المحمودة في الابل فان قيل كيف يجمع الوصف
بتسهيل الخدين مع الوصف بكونها وجناء على شرحه بعظم الوجنتين وهو
ينافي تسهيل الخدين الجواب انه قد تقدم هناك ان المراد بالوجنتين
طرفا الخدين فيجوز ان يكون اخذها في نفسها اشيلين مستر سلين
وطرفاها فيهما غلظ وارتفاع ويكون كلا منهما مورد امن المحاسن

البيت السادس والعشرون

• تحذي على يسرات وهي لاحقة • ذوابل مسهن الارض تحليل •

قوله تحذي بفتح التا واسكان الحاء وكسر الذال ثم ياء ساكنة تسير الوجه
وهو ضرب من تقع من السير يقال تحذي يحذي حذيا وحذ يحذ وحذ
وقوله على يسرات اي على قوايم خفاف واليسرات بفتح الياء والسين ما خوذه
من اليسر وقوله وهي لاحقة اي تلك اليسرات لاحقة ومعناها غافلة
لاشتغالها بالسير وقوله ذوابل بالذال والباء وهي ذوابل ايضا شبهها
بالرماح الذوابل واشار الى صلابتها وقوتها وقوله مسهن الارض
تحليل اي مس قوايمها الارض بخفة اخذا من قولهم فعلت نخلة قسم
والمعنى انها تسرع قوايمها لشدة السير ومعنى البيت ان هذه الناقة
في غاية

في غاية الاسراع في سيرها وذلك انه وصف قوايمها في السير بخمسة اوصاف
الاول انها تسير الوخد وهي من اسرع انواع السير وهو المعنى بقوله تحذي
على ما تقدم شرحه الوصف الثاني خفة قوايمها باليسرات الوصف الثالث
الضمور والرقة وهو المعنى بالاحقة والذوابل اذا كانت القوايم قليلة
اللحم لم تكن رهلة ولا مسترخية فيكون ذلك اسرع لوقوع قوايمها ووسطها
وان انشد على الرواية الاخرى وهي لاهيه اي يدل قوله لاحقة كان المعنى انها
لاهية اي غافلة عن السير غير مكترثة برمح اسراعها فيه وذلك شبيه لها وهي
تعقله مع غفلتها له وهو اولى من حيث تعدد المعنى اذ الاحقة والذوابل
متقاربان في المعنى الوصف الرابع صلابة قوايمها وهو المعنى بقوله ذوابل على
ما تقدم بيانه لانها قد تكون ضامرة القوايم وليست بصلبة واذا اجتمع فيها
الوصفان كانت حسنا الوصف الخامس سرعة رفع قوايمها عن الارض وهو المعنى
بقوله مسهن الارض تحليل وان كانت قوايمها مشتملة على هذه الاوصاف
كانت في غاية اسراع السير فان قيل كيف ساغ ان يصف قوايمها بالضمور والرقة
بعد قوله فيما تقدم نعم قيدها مشير الى غلظ موضع القيد منها وهو مستلزم
لغلظ جميع القايمة الجواب ان المراد هناك غلظ العظم والعصب وهو قلة
اللحم فلا منافاة بينهما

البيت السابع والعشرون

• سمر العجايات يتركن الحصا زيما • لم يقهن رؤس الاكم تنعيل •

قوله سمر العجايات السمر جمع اسمر كحمر جمع احمر وهي من اوصاف الرماح والعجايات
بضم العين وفتح الجيم وبعد الالف ياء مثناة تحت وتاء مثناة فوق جمع عجاية
وهي من الاعصاب المتصلة بالحافر وقيل لحمة متصلة بالعصب المخدم من ركبتي
البعير الى الفرشة وشبه عصبها او لابجر قوايمها بالرماح لقوتها وصلابتها
وقوله يتركن الحصا زيما ويتركن بمعنى يجعلن والحصا معروف زيما بكسر الزاي
وفتح الياء المتفرقة وقوله لم يقهن رؤس الاكم تنعيل اي ليس بين تلك العجايات
وبين الاكم التي تمر عليها تنعيل يقيها منها والاكم بضم الهمزة واسكان الكاف
الروابي المرتفعة من الارض ومعنى البيت ان هذه الناقة صلبة لا على

صلبة الاسفل شديدة وذلك انه وصفها بثلاثة صفات الصفة الاولى صلوبة
العصب من قوله سر الجياد حيث شبهها بالرماح لقوتها الصفة الثانية
شدة وطيها الارض بحيث انها تفرق الحصا اذا وصلته وقد قيل في قوله تعالى
والعاديات ضبحا انها الابل وفسر قوله فالموريات قدحا اذا اثرت سيرها وقت
الهجارة بعضها على بعض فقدحت النار وان كان المشهور ان المراد في الاية
الخيل الصفة الثالثة صلابة حقافها بحيث انها مع كثرة السير لا تحتفي ولا
تحتاج الى تنعيل مع طول المدى وانما خص الاكم التي هي الروابي بالذكر
دون غيرها من الارض لانها قليلة السلوك فتبقى بها الحجارة الخشنة
ونحوها فانها اذا كانت لا تحتاج الى تنعيل لمثل ذلك ففي غيره اولى والله
تعالى الموفق للصواب واليه المرجع والماب البيت الثامن والعشرون

كان اوب ذراعيها اذا عرقت ٭ وقد تلفع بالقور العساقيل ٭

قوله كان اوب ذراعيها اذا عرقت الى اخر قوله في البيت الحادي والثلاثون
ذراعا عيطل يصف وسياتي هناك ان المراد من التشبيه الاسراع
بحركة ذراعيها في السير ان شاء الله تعالى الاوب بفتح الهمزة واسكان الواو
وبعدها باء موحدة سرعة تقليب اليدين والرجلين وقوله اذا عرقت
كني به عن وقت الهاجرة وكانه يقول كان سرعة تقليب يديها في وقت اشتداد
الحر ذراعها عيطل الى اخره وقوله تلفع بفتح التاء المثناة فوق واللام
والفا المشددة والعين المهملة معناه التحف والقور بضم القاف
وبعد الواو راء مهملة جمع قار وهي الجبل الصغير والعساقيل بفتح العين
والسين وبعد الالف قاف المراد به السراب والتقدير وقد تلفعت
بالقور العساقيل وقيل ان الجبال الصغار هي التي تلتحق بالسراب
لان السراب يلتحق بها فوقع القلب في كلامه كما تقول ادخلت القلنسوة
في راسي والمراد ادخلت راسي في القلنسوة ومعنى البيت ان سرعة حركة
ذراعي هذه الناقة في السير تكون في شدة وقت الهاجرة وقوة الحر في غاية
الاسراع فاظنك بها في غير هذا الوقت وان لم يصرح بالحر فقد اشار اليه من
وجهين

وجهين الاول عرقها مع ما تقدم من وصفها به القوة والصلابة والناقة التي بهذه
الصفات لا تعرق لا عيا ولا تعب وانما تعرق لشدة الحر وان كانت لا تتاثر به
الوجه الثاني قوة السراب وغلبته بالمفازة حتى انه على صغار الجبال وعطاها وذلك
لا يكون الا في وقت الهاجرة والله اعلم بالصواب البيت التاسع والعشرون

يوما يظل به الحرباء مصطخدا ٭ كان ضاحيه بالشمس مملول ٭

قوله يوما كان اوب ذراعيها اذا عرقت يوما يعني ان الاوب والعرق
وقع في ذلك اليوم نصفه وقوله يظل بفتح اليا والظا معناه يصير الحرباء
بفتح الحا واسكان الرا والبا الموحدة وهو حيوان له سنام كسنام الابل
يستقبل الشمس ويديره معها كيف ما دارت وهو في الظل اخضر ويتلون الوانا
بحر الشمس وكنيته ابو اقرم وكنيته ايضا ام جبين والمصطخد بضم الميم
واسكان الصاد وفتح الطا وكسر الخا وبالدال المهملة المصطلي بحر الشمس
وقوله كان ضاحيه اي كان ذلك الحرباء والضاحي بالضاد والحاء البارز للشمس
كما تقدم بقوله بضاحية المتنين ومنه قوله تعالى وانك لا تظمأ فيها ولا
تضحى اي ولا تبرز للشمس والمراد هنا ما برز من الحرباء للشمس وقوله
مملول بفتح الميم الاولى واسكان الثانية وضم اللام بعدهما المتلظي بحر الرمضا
اخذا من قولهم مللت الخبز اذا جعلته في الملة بفتح الميم وهي الرماد الحار
ومعنى البيت ان هذا اليوم الذي حصل من هذه الناقة في غاية الاسراع
في السير من شدة حره وهو لحره يصير الحرباء مصطليا بالشمس لتشتد بها
حتى كان ما برز منه للشمس خبز ملة قد انضجته النار بشدة حرها واذا
كان هذا سيرها في هذا اليوم الشديد الحر ففي غيره اقوى واشد واسرع

البيت الموافي ثلاثون

وقال القوم حاديهم وقد جعلت ٭ ورق الجنادب يركضن الحصا قبلي ٭

قوله وقال القوم حاديهم المقول لهم هو قوله في اخر البيت قبلي والمراد
بان الحادي في تلك الحالة التي تلفح فيها الجبال بالسراب امرهم بالتقدم له
والورق بضم الواو واسكان الراء وبعدها قاف الخضرة المايلة للسواد

والجنادب بجيم مفتوحة بعدها نون والالف ثم دال مهملة مكسورة
وباء موحدة مزهبة الجراد وقوله يركضن الحصا يلد فعنه ومنه قوله ركض
الدابة اي دفعها في جنبها برجليه لتسير اذ المعنى ان الجنادب تعدو على
الحصا فترفع بعضها الى بعض لقوتها وقوله قيلوا امر بالقيلولة وقد تقدم
الاشارة في اول البيت ومعناه في هذا البيت من شدة حره وهو امر كان
الحادي الذي من شانه ينشط الابل للسير ناظرا امراء الامر المقدم بالقيلولة
اشفاقا على الابل وكذلك يوصف الجنادب بكونها ورقا فانها لا تكون بهذا اللون
الا في القفار الموحشة الشديدة الحر البعيدة الماء كما تقدم فتكون مع سيرها
في الحر الشديد فيها صبر على العطش والسير في القفار عند عجز غيرها

البيت الحادي والثلاثون

شد النهار ذراعا عيطل نصف • قامت بجاودها نكد مثاكيل •

قوله شد النهار بفتح الشين وتشديد الدال المفتوحة والمراد بشد النهار
ارتفاعه تقول جئتك شد النهار اي وقت ارتفاعه والمعنى ان
ذلك كان وقت ارتفاع النهار وهو مبالغة في شدة الحر وقوله ذراعا
عيطل هو خبر كان في قوله في البيت الثامن والعشرون كان اوب ذراعيها
اذا عرفت كما تقدمت الاشارة اليه والتقدير كان اوب اوب ذراعيها اوب ذراعي
هذه الناقة كالعيطل والعيطل بفتح العين واسكان الياء وفتح الطاء بعدها
اللام الطويلة والمراد هنا المراة الناعمة القائمة والنصف بفتح النون والصاد
المهملة وبعدها فاء التي بين الشابة والكهلة وقوله قامت اي قامت المراة
بجاودها نكد والنكد بكسر النون واسكان الكاف وبعدها دال التي لا يبقى لها ولد
والمثاكيل بفتح الميم وثاء مثلثة بعدها الف فكاف مكسورة ثم ياء ساكنة بعدها
لام الكثيرة الجبال بالسراب واصطلاء الحرباء الشمس حتى ينضج جلده من شدة
حرها وضجر الحاد واشفاقه على الايام من شدة الحر والصبر في المفاوز ووقت ارتفاع
النهار ذراعاها في سرعة السير كذا راعي امراة طويلة قامت تلطم وجهها لشدة حزنها
على ولدها فجاوبها نسوة فقدن اولادهن وذلك انها اذا رات حزن غيرها
على

على ولدها وشدة ما عليها من اللطم اشتد فعلها وقوي ترجيع يديها عند النايحة
وهذا التشبيه في غاية الحسن فان قيل ما المعنى في وصفها بالطول في قوله عيطل
وبالتوسط في السن في قوله نصف الجواب ان الطويلة تكون اطول ذراعا فتكون
اوسع خطوة فاذا واقعها سرعة الحركة مع ذلك كان في غاية الاسراع واما التوسط
بالسن فانه يحسن اكتمال قوتها وبلوغ اشدها وتمام قامتها اذ تكون قد انتهت
في الطول فتكون امد للخطوة ولمكن

البيت الثاني والثلاثون

نواحة رخوة الضبعين ليس لها • لما نعى بكرها الناعون معقول •

قوله نواحة اي كان ذراعيها في تلك الحالة ذراعا عيطل نواحة والنواحة
بفتح النون وتشديد الواو وبعد الالف حاء مهملة مفتوحة ثم هاء التانيث
التي بالغت في نوحها على ميتها الرخوة بكسر الراء واسكان الخاء وفتح الواو المسترخية
والمراد بالضبعين العضدان بفتح الضاد واسكان الباء وفتح العين وبعدها
ياء ثم نون وقوله ليس لها لما نعى بكرها الناعون معقول ان ليس لما نعى بكرها
من اولادها معقول والنعي عبارة عن الاخبار بموت الميت واذاعته وندبه
والبكر بكسر الباء واسكان الكاف اول اولاد الام والناعون المخبرون بالموت النادبون
له والمعقول هنا بمعنى العقل ومعنى البيت ان هذه النايحة التي شبه ذراعي
الناقة في سرعة الحركة بذراعيها مع كثرة نوحها مسترخية العضدين فيداها بينها
سريعتا الحركة وانها لما اخبرها الناعون بموت ولدها لم يبق لها عقل فهي مع استرخاء
وسرعة حركة يديها وقوة نياحتها ليس لها من العقل رادع يردعها ولا زاجر يزجرها
ولا تحس بالاعياء والتعب فكانت نياحتها حينئذ اشد وابلغ وكذلك هذه
الناقة في سيرها ويؤكده قوله في البيت السادس والعشرون وهي لاحقة على احدى
الروايتين كما تقدم هناك وقد وقع المبالغة من اربعة اوجه احدها صفة نواحة
مبالغة مقتضية لكثرة النوح الثاني ان الرخوة الضبعين اسرع
حركة من غيرها الثالث ان ولدها المنعي اليها هو بكرها واعز
اولادها الرابع انه نعي اليها وجاءها خبره من بعده ولم
تكن ممرضة له فتتسلى بتمريضه والله اعلم بالصواب

البيت الثالث والثلاثون

تفري اللبان بكفها ومدرعها ۞ مشقق عن تراقيها رعابيل

قوله تفري بفتح التا واسكان الفا وكسر الرا وبعدها يا اي تقطع واللبان بفتح اللام الصدر وقد تقدم بقوله يشي الفراد عليها ثم يرتقي لبان وقوله ومدرعها اي ومدرع تلك النواحة والمدرع بكسر الميم واسكان الدال وفتح الرا القميص والمشقق المشقوق بكثرة والتراقي بفتح التا والرا وبعدها الالف قاف ويا عظام الصدر التي يقع عليها القلادة ومنه قوله تعالى كلا اذا بلغت التراقي بلغت الروح عظام صدرها والرعابيل بفتح الرا والعين وبعدها الالف با موحدة ثم يا مثناة تحت وفي اخره لام القطع ومعنى البيت ان هذه النايحة لما ذهب عقلها بنعي ولدها اليها صارت تقطع صدرها بكفها وقميصها مشقق قطع عن صدرها وهو كالموكد للذي قبله في ذهاب العقل والمراد تشبيه الناقة بها من الالم في بدنها وما يقصد من ثيابها وهذا اخر ما اتي عليه من اوصاف الناقة

البيت الرابع والثلاثون

تسعى الوشاة جنابها وقولهم ۞ انك يا ابن ابي سلمى لمقتول

قوله تسعى يحتمل ثلاث معان الاول من قولهم سعى به الى السلطان سعاية اذا وشى به الثاني ان يكون من باب الاسراع في السير ومنه قوله تعالى صلى الله عليه وسلم انه قال اذا اتيتم الصلاة فلا تاتوها وانتم تسعون ويحتمل ان يكون منه قوله تعالى وجا رجل من اقصى المدينة يسعى الثالث ان يكون من قولهم سعى اليه اذا اتاه ومنه قوله تعالى فاسعوا الى ذكر الله والوشاة بضم الواو جمع واش وهو الذي يمشي بالنميمة ليغير الخواطر وسموا وشاة لانهم يوشون الحديث اي يزينونه اخذا من الوشي وقوله جنابها اي جانبي سعاد لا الناقة وواحدها جانب بفتح الجيم وهو فناء الشي وما حوله والمراد هنا ناحية الناقة ويروي حوايها بدل جنابها وهو بمعناه ومنه قوله صلى الله عليه وسلم في دعاء الاستسقا اللهم حوالينا ولا علينا وقولهم حينئذ هذا القول ويروي وقيلهم بكسر القاف وهو بمعنى القول ايضا يقال قال يقول

ان يكون صح

قوله

قولا وقيلا واراد بابن ابي سلمى وهو كعب ابن زهير ابن ابي سلمى نسب بنوته الى جده كما في قوله صلى الله عليه وسلم انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب وسلمى بضم السين قال علما الحديث وليس في العرب سلمى بضم السين غيره والمراد بقوله لمقتول الصاير الى القتل كما في قوله تعالى انك ميت وانهم ميتون اي الصايرون الى الموت ومعنى البيت ما كنا ما لاقاه من صد محبوبته واعراضها عنه وبعدها عنه بحيث صارت الى مسافة في البعد لا يبلغها الا الناقة التي وصفها حتى ان الوشاة يسعون عندها ويغيرون خاطرها عليه وينفرونها عنه ثم يرجعون اليه فيخوفونه بالقتل ويضيقون عليه سبل النجاة والحاصل ان امر الوشاة يرجعون في شانه الى مقصدين المقصد الاول سعيهم به عندها وابعاد صدها عليه وهو بقوله تسعى الوشاة جنابها وهذا ابتلي به كثير من المحبين فيمن يحبون فعلى ان يظفر الانسان بمن يحبه الا حسد عليه وتطرقت عيون الوشاة اليه فاستمالوه عنه وصرفوا نظره عن رؤية محاسنه وان كان الصادق في المحبة لا يغير على من يحبه اعراض ولا يصرف قلبه عن محبه صدود وما دام الناس قديما وحديثا يذمون الوشاة ويحذرون منهم ويقرنونهم بالدم بالعاذل والرقيب وبدر القايل

عندي لكم يوم التواصل دعوة ۞ يا معشر الجلسا والندماء ۞

اشوي قلوب الحاسدين بها ۞ والسنة الوشاة واعين الرقباء ۞

واعلم ان السعاية والمشي بالنميمة وافساد ما بين الاحبة خصوصا بالزور والبهتان امر مذموم شرعا وقد ورد الكتاب والسنة بذمه والنهي عنه قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا ان جاكم فاسق بنبا فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين فامر بالتبين والتثبت فيما ينقله الساعي ويمضي به النمام لما يحمل عليه من الحسد والكذب والاختلاق مما يلقيه في تضاعيف كلامه وتوجيه زخرف قوله وسماه فاسقا بقوله ان جاكم فاسق والمعنى فيه انه اذا نم ومشى

في السعاية خرج عن ان يكون ثقة وقد حمد الله تعالى ونهى عن طاعته
واتباعه بقوله ولا تطع كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم مناع للخير معتد
اثيم ووعده بالويل بقوله ويل لكل همزة لمزة والله يقول الحق وهو يهدي
السبيل وهو يقول صلى الله عليه وسلم الا اخبركم الى المشاؤن بالنميمة المفرقون
بين الاحبة وعتب انسان في كلام نقل عنه قال من اخبرك به قال الثقة
قال لو كان ثقة ما نم ولله در القايل

لا تسمعن من الحسود مقالة ... لو كان حقا ما يقول الواشي

ووشى واش برجل الى ذي القرنين فقال ان شئت سمعناه منك ما تقول
فيه على ان نسمع منه ما يقول فيك وان شئت عفونا عنك فقال
العفو له عود وبالجملة من قال لك قال عليك ومن نقل حديث غيرك
اليك نقل حديثك الى غيرك وهذا مرض يبتلي به كثير من الناس فيصير
فيه طبعا مركبا وغريزة ثابتة فلا يستطيع ان يسمع حديثا الا نقله ولا
يجلس الا حكاه وهو كما قيل

تراه يلتقط الاخبار مجتهدا ... حتى اذا ما وعاها ارق ما لفظا

ولله در القايل

انم بما استودعته في زجاجة ... ترى الشيء فيها ظاهرا وهو باطن

المقصد الثاني رجاؤهم وتخويفهم لك واظهار الشماتة به وهو المعنى
بقولهم انك يا ابن ابي سلمى لمقتول ومن هنا تخلص الى ذكر قصة نفسه
وكيف كان ابتداء امره مع النبي صلى الله عليه وسلم فانتقل من ذكر سعي الواشاة
به عند سعاد الى تخويفهم له بالقتل الذي كان اوعده به النبي صلى الله عليه وسلم
حين هدر دمه قبل اسلامه وهذا هو النوع الرابع من انواع النسيب
وهو المتعلق بغير المحبوب بسببه كما تقدم في اول الشرح وهو كالتوطئة
لما ياتي بعده من المدح

البيت الخامس والثلاثون

وقال كل خليل كنت آمله ... لا تلهينك اني عنك مشغول

قوله وقال كل خليل اي وقال كل خليل من اخلائي والخليل الصديق وهو ماخوذ من
الخلة

الخلة بضم الخاء وهي الصداقة وقوله كنت املا اي ارجوه لوقت الشدايد والضرورات
لا تلهينك اي لا تشغلنك عما انت فيه بل امهله عليك واسالك عنه يقال لها عنه اي تشاغل
عنه بغيره وقوله اني عنك مشغول اشغل نفسي شغلتني عنك ومعنى البيت ان
اصدقاه الذين كان يرجوهم لشدايده ويخبا وهم لوقت مصايبه قد تلهوا عنه
وتغافلوا واعرضوا عن نصرته وخلاصه من القتل وتبرؤا منه يا ساء من سلامته
وخوفا من سطوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وغضبه حين اهدر دمه واذن
في قتله كل من لقيه ويحق لهم ان يخشوا سطوة النبي صلى الله عليه وسلم فقد ثبت
في الصحيحين من حديث انس بن مالك ان النبي صلى الله عليه وسلم حين نزل بخيبر
قال الله اكبر خربت خيبر اذا نزل بساحة قوم فساء صباح المنذرين هذا وقد
هاداه جميع الملوك واتقوا سطوته وخافوه فهم بنو مسلم ومسالم كيف والله تعالى
ايده بالنصر وحماه بالعصمة

البيت السادس والثلاثون

فقلت خلوا سبيلي لا ابا لكم ... فكلما قدر الرحمن مفعول

قوله فقلت خلوا سبيلي لا ابا لكم وخلوا بمعنى اتركوا والسبيل الطريق وقوله
لا ابا لكم نفي للاب عنهم كما يقولون لا ابا لك وهي كلمة تقولها العرب تقصد
بها المدح تارة والذم اخرى فاما معنى المدح فانهم يريدون نفي نظيره لا يكون
من اب مثل ابيه فاذا نفي ان يكون له اب امتنع ان يكون له نظير واما معنى الذم
فانهم يريدون انه مجهول النسب لا يعرفون له ابا وقوله فكلما قدر الرحمن مفعول
اي لا بد ان يقع ومعنى البيت انه لما يئس من نصرة اخلائه وتحقق انهم لا يغنون
عنه شيئا ولا يستطيعون بامر رسول الله صلى الله عليه وسلم عزم عليهم ان يخلوا
طريقه ليذهب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يحبسونه عن اتيانه والمثول
بين يديه ليمضي فيه حكمه ذاما لهم ومنتهكا لهم بقوله لا ابا لكم واشتد في امره
الى اعتماد قدر الله تعالى متيقنا انما قدر له وعليه لا بد وان يستوفيه لا محيد
له عنه ولا برح له عن استيفائه فادركته العناية الالهية من وجهين الوجه الاول
قوة عزمه على لقاء النبي صلى الله عليه وسلم والمشي اليه ليحصل على السعادة
الابدية والنعم السرمدية التي لا تحد ولا تنفد وذلك انه تحقق بما كتب

اليه يحجم اخوه يخبر انه صلى الله عليه وسلم يقبل من جاء اليه تائبا ولا يطالب بما
كان قبل الاسلام كما تقدم ذكره في اول الشرح وكان ذلك قد شاع عنه صلى الله
عليه وسلم في قبائل العرب وطوائف الامم وشرح الله صدره للاسلام
وهداه الصراط المستقيم كما في قوله تعالى من يهد الله فهو المهتدي ومن
يضلل فلن تجد له وليا مرشدا الوجه الثاني كونه الى العذر واعترافه
بوقوعه توفيقا للمذهب الحق ومنهج الصدق قال تعالى انا كل شيء خلقناه
بقدر وقال عز وجل وكان امر الله قدرا مقدورا وقد اخرج ابو داود من حديث
عبادة ابن الصامت رضي الله عنه انه قال لابنه عند الموت يا بني انك لم تجد طعم
حقيقة الايمان حتى تعلم ما اصابك لم يكن ليخطئك وما اخطأك لم يكن
ليصيبك فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لما خلق الله القلم
قال له اكتب فقال يا رب وما اكتب قال اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم
الساعة يا بني اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من مات على
غير هذا فليس مني وفي صحيح مسلم وغيره من حديث يحيى ابن يعمر قال اول
ما كان في القدر بالبصرة معبد الجهني فانطلقت انا وحميد ابن عبد الرحمن
الحميري حاجين او معتمرين فاكتفت انا وصاحبي احدنا عن يمينه والاخر عن
شماله وظننت انا وصاحبي متكلما علي في الكلام فقلت يا ابا عبد الرحمن انه قد
ظهر قبلنا اناس يقرؤن القرآن ويتقفرون العلم وذكرت من شانهم انهم يزعمون
لا قدر والامر انف فاذا لقيت اولئك فاخبرهم اني بريء منهم وانهم برآء مني
والذي يحلف به عبد الله ابن عمر لو ان لاحدهم مثل جبل احد ذهبا فانفقه ما قبله
الله منه حتى يؤمن بالقدر واخرج ابو داود من حديث اليماني ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال لكل امة مجوس ومجوس امتي هؤلاء الذين يقولون لا قدر من مات
منهم فلا تشهدوه وجنازته ومن مرض منهم فلا تعودوه وهم شيعة الدجال وحق على
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يلحقهم بالدجال وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو ابن
العاص رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كتب الله مقادير
الخلائق قبل ان يخلق السموات والارض بخمسين الف سنة قال وعرشه على الماء واخرج
الترمذي

الترمذي من حديث ابي هريرة رضي الله عنه قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم
ونحن نتنازع في القدر فغضب حتى احمر وجهه كانما ابتي في وجهه حب الرمان
فقال ايهذا امر بهذا ارسلت اليكم انما هلك من كان قبلكم حين تنازعوا في
هذا الامر عزمت عليكم ان لا تتنازعوا فيه **البيت السابع والثلاثون**

• كل ابن انثى وان طالت سلامته • يوما على آلة الحدباء محمول •

قوله كل ابن انثى اراد به كل مولود يولد من ذكر وانثى وان كان لفظه لا يقع في اللغة
الا على الذكر والمراد بالآلة الحدباء النعش يسمى بذلك قيل لصعوبة مرتقاه
وقيل لارتفاعه وقيل اخذ من قولهم ناقة حدباء اذا بدت حوافيها لان النعش
كذلك والظاهر سمي بذلك تشبيها بالرجل الاحدب فان العرب لم تكن تعرف هذه
الاسرة المبخرة من الخشب وانما كانوا يأخذون عصيا يعوجونها تربيعا مستطيلا
وينسجون وسطها بالحبال يحملون عليها موتاهم والعرب في البوادي على ذلك
الى الان وهذه الآلة اذا وضع فيها الميت وثقل على الحبال برزت على العصي فاشبهت
الرجل الاحدب في بروز ظهره ومعنى البيت ان الانسان وان طال في منحة الاجل
سلامته من الآفات والعوارض فلا بد من ورود هياض الموت وحمله الى المرس
ومصيره الى الاحداث وان كان الامر على ذلك فهل يجزع الجازع بمثله يخوف بها
من قتل وغيره وحقيق ما قاله فالموت لا مخلص منه بالفرار ولا امتناع
بالتحصين وما احسن قول الشاطبي رضي الله عنه ملغزا في النعش

العرف شيئا في السما نظيره • اذا سار صاح الناس حيث يسير •
فتلقاه مركوبا وتلقاه راكبا • وكل امرئ يعتليه اسير •
يحض على التقوى ويكره قربه • وتنفر منه النفس وهو نذير •
ولم يستزر في رغبة عن زيارة • ولكن على رغم المزور يزور •

البيت الثامن والثلاثون

• انبئت ان رسول الله اوعدني • والعفو عند رسول الله مأمول •

جميع ما تقدم توطئة لهذا البيت فان غرضه من القصيدة التنصل
والاستعطاف ومعنى البيت اني اخبرت ويروى بنيت ومعناه

وترك ذكر الفاعل هنا لامرين الاول انه لا يتعلق بتعيين معين وطلبه قوله
تعالى اذا قيل لكم تفسحوا في المجالس واذا قيل انشزوا واذا حييتم بتحية
الثاني ان مقام الاستعطاف ينا سبه ان لا يحقق الخبر بالوعيد بل لو
يوتي به مرضا كما يقال روي كذا وان اوصلها اما على تقدير اليا وهو الاصل
مثل ابتهم باسمائهم تبتوني بعلم واما سادة فسد المفعولين على تضمين
انبا او نبا اعلم واري والوعيد في الخير والايعاد في الشر وقال الشاعر

والي اذا واعدته او وعدته ... لمخلف ايعادي ومنجز موعدي

ولهذا قال بعض فصحاء العرب في دعائه يا من اذا وعد وفا واذا اوعد عفا
وما احسن قول ابن الفارض

متى اوعدت اولت وان وعدت لوت ... وان اقسمت لا تبر والمسقم برت

وانما يستعمل وعد في الشر مقيدا كقوله تعالى النار وعدها الله الذين كفروا
وفي البيت اعادة رسول الله صلى الله عليه وسلم لاظهار التفخيم والتعظيم ولهذا
اتى بعنه ولم ياتي بمن لان عند ادل في التفخيم ولقوة الرجا لانه قد ثبت
وتواتر ان الصفح من اخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم وعزيز من غرائز
الكرام سا وكان النبي صلى الله عليه وسلم من ابعد الناس غضبا واسرعهم رضا و
الاحاديث جملة واردة والاخبار والاثار بعفوه وصفحه الجميل منتشرة ومشاهدة
قالت عايشة ما رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم امر مظلمة ظلمها ما لم تكن حرمة
من محارم الله تعالى وما ضرب بيده قط شيئا الا ان يجاهد في سبيل الله تعالى
وما ضرب خادما ولا امراة وفي حديث الاخر وما انتقم رسول الله صلى الله عليه
وسلم لنفسه الا ان تنتهك حرمة الله تعالى فينتقم لذلك وجي اليه
برجل فقيل هذا يريد ان يقتلك فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لن تراع
لن تراع ولو اردت ذلك لم تسلط علي وتصدى له غورث بن الحارث
في بعض الغزوات وهو صلى الله عليه وسلم مستند تحت شجرة وحده قايلا
والناس قايلون فلم ينبه رسول الله صلى الله عليه وسلم الا وهو قايم
بالسيف صلتا على راسه فقال من يمنعك مني فقال الله
فسقط

فسقط السيف من يده فاخذه النبي صلى الله عليه وسلم وقال من يمنعك مني
فقال كن خير اخذ فتركه وعفا عنه فجاء الى قومه فقال جيتكم من عند خير الناس
وهبط عليه صلى الله عليه وسلم ثمانون رجلا من التنعيم صلاة الصبح ليقتلوه
فاخذوا فعفا عنهم واعتقهم صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى وهو الذي
كف ايديهم عنكم وايديكم عنهم ببطن مكة من بعد ان اظفركم عليهم وجاء زيد
بن شعبة قبل اسلامه يتقاضاه دينا عليه فجذب ثوبه بمنكبيه واخذه
بجامع ثيابه واغلظ له ثم قال انكم يا بني عبد المطلب مطل فانتهره عمر وشدد
له في القول والنبي صلى الله عليه وسلم يتبسم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم
انا كنا الى غير هذا احوج منك تامرني بحسن القضا وتامره بحسن التقاضي
ثم قال لعمر اجله ثلاث وامر عمر بقضيه من ماله ويزيده عشرين صاعا
لما روعه فكان ذلك سبب اسلامه وعن انس رضي الله عنه قال كنت مع
النبي صلى الله عليه وسلم وعليه برد غليظ الحاشية فجذبه اعرابي بردايه
حتى اثرت حاشية البرده في عاتقه وقال يا محمد احملني على بعيري هذين
من مالي الذي عندك فانك لا تحملني من مالك ولا من مال ابيك فسكت النبي
صلى الله عليه وسلم ثم قال المال مال الله وانا عبده ثم قال ويقاد منك
يا اعرابي بما فعلت بي قال لا قال لما قال انك لا تقابل السيئة بالسيئة
فضحك النبي صلى الله عليه وسلم ثم امر ان يحمل له على بعير شعير وعلى الاخر تمر
وقال له رجل اعدل يحمد وخسرت ان لم اعدل هذه قصة ما اريد بها وجه
الله تعالى فقال ويحك فمن يعدل ان لم اعدل خبت وخسرت ان لم اعدل
واراد بعض الصحابة قتله فنهاه عن ذلك وسيق اليه سفيان ابن حرب
جلب اليه الاحزاب وقتل عمه واصحابه فعفا عنه ولاطفه في القول
وقال ويحك يا ابا سفيان الم يان لك ان تعلم ان لا اله الا الله تعالى
فقال بابي انت وامي ما احلمك واوصلك واكرمك وعفى صلى الله عليه
وسلم عن اليهودية التي سمته في ذراع الشاة بعد اعترافها بذلك
على صحيح الرواية ولم يواخذ لبيد بن الاعصم اليهودي حين سحره

واوحي تعالى اليه يخبره ولا عتب عليه فضلا عن معاقبته ولم يواخذ عبد الله
بن ابي سلول وابتاعه من المنافقين بعظم ما تعلم عنهم صلى الله عليه وسلم قولا وفعلا
واشار عليه بعض اصحابه رضوان الله تعالى عليهم بقتل بعضهم فقال لا يتحدث
ان محمدا يقتل اصحابه ولما كسرت رباعيته صلى الله عليه وسلم وشج وجهه
يوم احد شق على اصحابه رضي الله عنهم فقالوا يا رسول الله لو دعوت عليهم
فقال اني لم ابعث لعانا ولكن بعثت داعيا ورحمة اللهم اهد قومي فانهم
لا يعلمون الى غير ذلك من الاحاديث الصحيحة والاخبار المتواترة في علمه
وحلمه وعفوه وصفحه مع القدرة والظفر مما لا ياتي عليه حصر ولا يحويه
طرس قد تقرر ان العفو والصفح من اخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم
فالتخلق به والتمسك بسنته امر مندوب اليه ومرغب فيه تاسيا برسول
الله صلى الله عليه وسلم قال تعالى لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة
وقد امر الله تعالى بالعفو امرا عاما فقال تعالى وليعفوا وليصفحوا وقال
عز وجل فمن عفا واصلح فاجره على الله الى غير ذلك من الاثار الواردة في العفو
ثم لطالب العفو من القادر سببان السبب الاول علة الهفوات في اقوال
الناس وافعالهم فان الهفوات قد تعرض في المودات المستقيمة كما تعرض
الامراض للاجسام السليمة لان الناس مع اطوارهم المختلفة واخلاقهم
المتفاضلة لا يسلمون من الهفوات فكان الجرح فيها مرفوعا والعتب بسببها
موضوعا وقد قيل من ذا الذي سلما من الهفوة والتمس بريا من ذنوب فقد رام
من الدهر خلافا ما هو عليه وقال بعض الحكما لا صديق لمن اراد صديق لا عيب فيه
وقال الاحنف ابن قيس حق الصديق ان يحتمل له ثلاث الهفوة والزلة والغضب
واذا كانت نفس الشخص قد تعصي عليه فتوديه وان جسمه قد يسقم قلبه
فيوذيه وهما اخص به واحنا عليه من صديق قد تميز بذاته ايزيد من غيره لنفسه
ما لا يحتمل من نفسه لنفسه فقد رام المحال ولله در القائل

افل ذا الود عثرة وقفه ... على سنن الطريق المستقيمه
ولا تسرع بمعتبة اليه ... فقد يهفو وتيته سليمه

السبب

السبب الثاني اختبار العبد وابتلاؤه في حال عزه وقدرته ليجازيه الله بعفوه
وصفحه اكرم عوض في ارفع محل فقد مدح الله الكاظمين الغيظ واثنى عليهم واخبر
بمحبته لهم فقال جل قدره والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب
المحسنين وورد في الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من كظم غيظه وهو
قادر عليه ان ينفذه دعاه الله تعالى على رؤس الخلايق حتى يخيره من الحور ما يشا
ويروى ايضا صلى الله عليه وسلم قال اربع كلمات من كن فيه وجبت له الجنة وحفظ
من الشيطان من ملك نفسه حين يرغب وحين يرهب وحين يغضب وحين
يشتهي واغتاظ مستعايشة رضي الله عنها على خادم لها فقالت لدرد التقوى
ما تركت لي غيظا اشفي به انها منعتها من الانتقام منها

البيت التاسع والثلاثون

مهلا هداك الذي اعطاك نافلة ... القران فيه مواعيظ وتفصيل

قوله مهلا اي امهل على مطايخاطب به ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فالتفت فيه من
الغيبة في قوله في البيت الذي قبله اتيت ان رسول الله اوعدني الى الخطاب
بقوله مهلا وقوله هداك الذي اعطاك نافلة القران دعاء النبي صلى الله عليه
وسلم وان كان لفظه على الماضي كما يقول صلى الله عليه وسلم وهو ابلغ من صيغة
الطلب والنافلة الزيادة ومنها سمي ما زاد على الفرايض نافلة والقران
كتاب الله المنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم والمواعظ جمع موعظة وتفصيل
بالصاد المهملة المراد به بيان ما يحتاج اليه من امر المعاش والمعاد ومعنى البيت
طلب الامهال من النبي صلى الله عليه وسلم وان لا يعجل عليه الانتقام واستعطاف
له بذكر ما من الله عليه به من اعطايه القران الكريم المشتمل على الاوامر والنواهي
وتفصيل الاحكام وهو كالتتمة للبيت الذي قبله لاشتماله على تمام
الاستعطاف في ثلاثة اوجه الاول طلب الامهال منه صلى الله عليه وسلم
اشارة الى قدرته عليه وتمكينه منه فانه ليس له من النبي صلى الله عليه وسلم مخلص
ولا مهرب وفيه التعظيم والتفخيم لمقام النبوة لاخفاء فيه الوجه الثاني
التذكير بنعمة الله تعالى على رسول الله صلى الله عليه وسلم من اعطايه القران

٢ يوم القيمة صح

وتنزيله عليه ليكون ادعا الي العفو والشكر لنعمة الله تعالي اذ من جملة المنزل
عليه خذ العفو وامر بالمعروف واعرض عن الجاهلين الوجه الثالث الاقرار
بالتنزيل وهو من تمام الاسلام الذي به يحقن الدم ويصان عن القتل فان
قيل اذا كان معني النافلة الزيادة فما المراد بزيادة القران هنا فالجواب ما اشار
اليه ابن هشام في شرحه ان الله تعالي انزل علي رسوله صلي الله عليه وسلم اياة عظيمة
علمه اياها وجعل الكتاب زيادة ثم اتينا الكتاب اتماما علي الذي احسن زيادة علي العلم
الذي اتعمه

موسيي صح

البيت الموافي اربعون

لا تاخذني باقوال الوشاة ولم ۞ اذنب وان كثرت في الاقاويل ۞

قوله لا تاخذني باقوال الوشاة سوال وتضرع لا نهي وامر اذ النهي لا يكون الا من
الاعلي لمن دونه ومقام النبي صلي الله عليه وسلم والاقاويل جمع قول
والوشاة قد تقدم القول في البيت الرابع والثلاثون انهم الذين يمشون بالسعاية
عند النبي صلي الله عليه وسلم معني البيت ان جميع ما رميت به من الذنوب
باقوال الوشاة علي كثرتها ليس مني ما صدر البتة فلا تواخذني يا رسول
الله بما يشتهر لي من ذنوب انا عنها بري وهذا من تمة الاستعطاف والتلطف
في القول المتوصل به الي استجلاب القلوب واستمالة الخواطر وقد وقع التلطف والا
ستعطاف فيه من ثلاثة اوجه الاول تعييرهم الساعين به الوشاة اشارة الي
كذبهم وتعرضا بذمهم اذ السعاية والمشي بالنميمة وافساد ما بين الاحبة
خصوصا بالزور والبهتان امر مذموم شرعا ومرفوض عقلا وقد ورد الكتاب
والسنة بذمه والنهي عنه قال تعالي يا ايها الذين امنوا ان جاءكم فاسق بنبا
فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا علي ما فعلتم نادمين فامر تعالي
بالتبين والتثبت فيما ينقله الساعي ويشي به لئلا يحمل علي الحسد من
الكذب والاختلاق مما يلفقه من تضاعيف كلامه وتوجيه زخرف قوله وسماه
فاسقا بذلك والمعني فيه اذا نم ومشي بالسعاية خرج عن ان يكون ثقة وقد ذم
الله تعالي ونهي عن طاعته واتباعه بقوله ولا تطع كل حلاف مهين هماز مشاء
بنميم مناع للخير معتد اثيم ووعده بالويل بقوله ويل لكل همزة لمزة والله تعالي
يقول

يقول الحق وهو يهدي السبيل وقد روي عن النبي صلي الله عليه وسلم انه قال
ابغضكم الي الماشون بالنميمة المفرقون بين الاحبة يحكي ان بعض السلف
عابه انسان في كلام نقل عنه فقال من اخبرك قال الثقة قال ولو كان ثقة
ما نم والي هذا يشير بعضهم بقوله ۞

لا تسمعن من الحسود مقالة ۞ لو كان حقا ما يقول الواشي ۞

ويقال ان وشا واش برجل الي ذي القرنين فقال ان شئت قبلنا منك
ما تقول فيه علي ان يقبل منه ما يقول فيك وان شئت عفونا عنك
فقال العفو لا اعود وقد قال صلي الله عليه وسلم لا يبلغني احد منكم عن
اصحابي شيا فاني احب ان اخرج عليهم وانا سليم الصدر الوجه الثاني ليس
له من الذنب والتنصل منه بقوله ولم اذنب وذلك ان عدم الاعتراف ابلغ
في الاعتراف وادل علي الرهبة والخوف والذنب اذا ظهر عظم خطره وكثر
الخواطر ذكره واعلم ان المسيء مع من اساء اليه ثلاث حالات الاول ستر الذنب
ثم يرسل الي الاعتذار والتنصل من الذنب ويظهر الخوف من الاطلاع فيوجب
قبول عذره والاعفاء عن ذنبه ولا يكشف عن باطن عذره ولا يعترف
بظاهر اساءته بشيء فيه يظهر بيان ندمه وبتبين خجلته والندم توبة
والخجل انابة ولا ذنب لتائب ولا لوم علي منيب ولذلك لم يترب النبي
صلي الله عليه وسلم علي كعب رضي الله عنه ولم يوبخه وقد قال بعض الحكما
شافع الذنب معترفا الي عذره وما احسن قول القايل ۞

اقبل معاذير من ياتيك معتذرا ۞ ان بر عندك فيما قال او هجرا ۞

فقد اطاعك من يرضيك ظاهره ۞ وقد اجلك من يعصيك مستترا ۞

الحالة الثانية ان يعترف بالذنب ويقر بالتوبة فيقنع منه باظهار التوبة
والندم علي ما اسقطه منه ولا يكلف عذره عن ذلك فيلجا الي الكذب
وتورط خجل التفريق وقد قال النبي صلي الله عليه وسلم اياكم والمعاذير
فان النزها مقاجر وقد قال علي بن ابي طالب كرم الله وجهه كفتا ما يعتذر
به ترهة وقال بعض الحكما شفيع المذنب اقراره وقال بعض الادبا

اوسع ما تكون المغفرة اذا ضاقت بالذنب المعذرة وانظر الى كرم الاخلاق
من يوسف عليه السلام حين قال لاخوته تالله لقد اثرك الله علينا وان
كنا لخاطئين اذ كان جوابهم لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم
الراحمين ولله در القائل

العذر يلحقه التحريق والكذب ٭ وليس في غير ما يرضيك من ادب ٭

وقد اسات فيا النعمى التي سلفت ٭ الا منت بعفو ما له سبب ٭

الحالة الثالثة لا يظهر توبته ولا يبدي عذرا وهو على مرتبتي المرتبة
الاولى ان يكون قد كف عن الذنب وامسك عن الذلل فلم يتجاوز الى
زيادة عليه فحكمه حكم وقوف المرض عن التزايد في العلة فكما ان قد اصلح
نصف وترك نصف فيجب المبادرة بمعالجة صلاح شطره الاخر ليكمل
صلاحه فانه متى اهمل ربما سرى الداء الى الشطر الصالح فافسده فعاد الى
التنكير فان من سقم شطر جسمه فلم يعالجه يسري السقم الى صحيحه وان عالجه
صرفت الصحة الى سقمه المرتبة الرابعة ان يكون مستمرا على الاساءة ويأخذ
في الزيادة فيها على مرور الليالي وتعاقب الايام فهذا من الداء العضال الذي
يعسر مداواته ويشق الصبر على مقاساته فان امكن استدراكه وتاتى
اصطلاحه بما امكن من المراطغة والا فاخر الداء العيا الكي ومن يكتفت به
الاعذار الى غايتها فالملامة عليه والمقيم على شقاقه باغ مصروع وقد قيل من
سل سيف البغي اغمد في راسه الوجه الثالث الاشارة الى عظيم العفو بما
ستعظام الذنب بقوله واذ كثرت في الاقاويل وذلك انه اذا وقع الصفح
والاعفاء مع عظيم الذنب وتهويل الامر كان ذلك ابلغ في عظيم العفو والكرم
مع ما في ذلك من تمام التنصل من الذنب والتبري منه ونسبة الوشاة الى الزور
والبهتان فانه لا يليق بذي المقام الاعلى والرتبة السنية ان يقبل قول هم
قولا وفعلا ولا يحملهم على صدره والله تعالى اعلم بالصواب ٭

البيت الحادي والاربعون

٭ لقد اقوم مقاما لو يقوم به ٭ اري واسمع ما لو يسمع الفيل ٭

البيت

البيت الثاني والاربعون

٭ لظل يرعد الا ان يكون له ٭ من الرسول باذن الله تنويل ٭

هذان البيتان مرتبطة احدهما بالاخر مع قوة الهما فحسن الكلام عليهما جملة
واحدة والتقدير فيهما لقد اقوم مقاما لو يقوم به الفيل لظل يرعد الا ان يكون
له من الرسول تنويل وقوله في البيت الاول لقد اقوم فيه قسم محذوف لانه قد لا يكون
جوابا بالقسم اما ملفوظ به كما في قوله تعالى لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة
ويروى اني اقوم مقاما والرواية المشهورة الاولى وهو ابلغ في المعنى بتاكيدها
بالقسم المحذوف والمقام بفتح الميم القيام والمراد قيامه بين يدي النبي صلى
الله عليه وسلم والفيل الحيوان المعروف وقوله في البيت الثاني لظل يرعد
بالظاء المعجمة معناه لصار الا انه يقتضي ثبوت العقل ودوامه كما في قوله
تعالى ولئن ارسلنا ريحا فراوه مصفرا لظلوا من بعده يكفرون وقوله ولو
فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون ونحو ذلك وقوله يرعد بفتح
الياء وضم العين انما خوذ من الرعدة والتنويل في اصل اللغة العطية
والمراد هنا اعطاء الامان ومعنى البيت ان المقام الذي قمته بين يدي
رسول الله صلى الله عليه وسلم لو اقام فيه الفيل الذي هو اعظم من جميع الحيوانات
جثة واثبتها جاشا ورأى ما رايت هنالك وسمع ما سمعت لارتعدت
فرايصه وتزعزعت قواه الا ان يكون له من النبي صلى الله عليه وسلم
تامين يسكن به روعه ويثبت به نفسه كل ذلك لما يدركه من هيبة النبي
صلى الله عليه وسلم وقد جعل الهيبة التي اشار بها ناشئة عن ثلاثة اشياء
الاول هيبة المقام وحضر المجلس وذلك ان مجلسه صلى الله عليه وسلم كان في
غاية الحضر والاحترام وعظم الهيبة والجلالة وقد وصف علي كرم الله وجهه
عنه مجلسه فقال اذا تكلم اطرق جلساؤه كانما على رؤسهم الطير واذا
سكت تكلموا لا يتنازعون عنده الحديث من تكلم عنده انصتوا له حتى
يفرغ حديثه ولا شك ان ذلك من هيبته صلى الله عليه وسلم عندهم
واحترامه لديهم فلم يزل صلى الله عليه وسلم عظيم الهيبة عندهم

رفيع القدر لديهم لا يزيدهم تلطفه بهم وتانيسه لهم الا هيبة الثاني هيبة الرؤيا
وذلك انه صلى الله عليه وسلم كان مهيبا في نفسه مخوفا بالجلالة والخشية يهابه كل من يراه
ويجله كل من نادماه وقد جاء في وصفه صلى الله عليه وسلم من راه اهابه ومن عاشره
احبه وفي صحيح مسلم من حديث عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنه وما كنت
اطيق ان املي عيني منه اجلالا له ولو قيل لي صفه لم استطعت لاني لم اكن املي عيني
منه وربما غلبت الهيبة على راسه صلى الله عليه وسلم حتى تاخذه الرعدة لولا ما
يلقاه من صلى الله عليه وسلم من التلطف والتانيس فقد جاء انه دخل عليه صلى
الله عليه وسلم رجل فاصابته هيبته فرعد فقال له هون عليك انما انا ابن
امراة من قريش تاكل القديد الثالث هيبة السماع وكان يشير الى سماع القران
فان له روعة تلحق قلب سامعيه وهيبة تعتريهم عنه تلاوته لقوة جلالته
وانافة خطره قال تعالى لو انزلنا هذا القران على جبل لرايته خاشعا متصدعا
من خشية الله تعالى وقال عز وجل تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم
ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله تعالى وقد ثبت في الصحيح من حديث جبير
ابن مطعم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرا في المغرب بالطور فلما بلغ هذه
الاية ام خلقوا من غير شيء ام هم الخالقون الى قوله المصيطرون كاد قلبي يطير وفي
رواية وذلك اول ما قر الاسلام في قلبي وربما اعترت هذه الهيبة والرعدة
من لا يفهم معانيه الا ان يكون له من الرسول تنويل بلفظه صلى الله عليه وسلم واقباله
عليه لهلك من شدة الجزع وغلبة الهيبة واعظم شاهد لذلك ما تقدم منه
صلى الله عليه وسلم دخل عليه رجل فجعل يرعد فقال هون عليك انما انا ابن امراة
من قريش تاكل القديد والله اعلم بالصواب **البيت الثالث والاربعون**

حتى وضعت يميني لا انازعه ... في كف ذي نقمات قيله القيل

والتقدير لقد قمت مقاما بحضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذني منه
الهيبة والرهبة ما اخذني حتى وضعت يميني في كف ذي نقمات قيله
القيل لا انازعه في شيء والمنازعة مجاذبة الامر والنقمات بفتح النون
وكسر القاف جمع نقمة كلمة وهي جمع كلمة والقيل والقول واحد والمراد
ان

ان امره نافذ وقوله ثابت لا يتغير ومعنى البيت انه وضع يمينه في كف النبي
صلى الله عليه وسلم وضع طاعة تسليما له وانقيادا لامره خوفا من سطوته وشره
باسه يشير به الى ما مر الى ما مع النبي صلى الله عليه وسلم حين قدم عليه وهو في المسجد
ووضع يده في يده وقال يا رسول الله ان كعب ابن زهير جاء ليستامن منك
تائبا مسلما فهل انت قابل منه ان انا جئتك به قال نعم فقال يا رسول الله انا كعب
على ما تقدم ذكره في اول الشرح وقد اشار في بعض كلامه الى ثلاثة مقاصد
المقصد الاول وضع يمينه في كف النبي صلى الله عليه وسلم اشارة الى الاعتناء
بشان اليمين في تنصله وترجله وشانه كله واخرج ابو داود من حديث حفصة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يجعل يمينه لطعامه وشرابه واخذه
واعطائه ويجعل شماله لما عدا ذلك وحاصل الامر ان الاشياء الشريفة كالاخذ والعطاء
والاكل والشرب والمصافحة يفعل باليمين والاشياء الخبيثة كالاستنجاء ومس
الذكر وما شاكل ذلك يفعل باليسار ولا شك ان مصافحة النبي صلى الله عليه وسلم
من اعلى الامور الشريفة وارفعها رتبة لا جرم حسن التيمن فيها على الحركة الطبيعية
من بني ادم انما تصدر في الغالب من جهة اليمين حتى انه يعسر التناول والدفع
ونحوهما باليسرى الا لمن اعتاده وذلك ان منشا الحركة على الكتاب وهو في الجانب
الايمن قال الصلاح الصفدي ولا يبعد ان يكون كبد الاعسر في الجانب الايسر
فتصير حركته عنها على القياس الثاني عدم المنازعة للنبي صلى الله عليه وسلم والدخول
تحت امره والانقياد لطاعته وهو من الامور اللازمة والواجبات المتحتمة حتى
ان الله قرن طاعته بطاعته قال تعالى يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا
الرسول وقال عز وجل قل اطيعوا الله والرسول وقال جل جلاله ومن يطع
الرسول فقد اطاع الله الى غير ذلك من الايات الدالة على وجوب طاعته وفي صحيح
البخاري من حديث ابي سلمة ابن عبد الرحمن انه سمع ابي هريرة رضي الله عنه يقول ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول من اطاعني فقد اطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله وفي
حديث ابي هريرة رضي الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل شيء يدخلون
الجنة الا من ابا قالوا ومن يابى قال من اطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد ابى

وناصيك ان الله تعالى جعل طاعته عليه السلام تمام الايمان وكماله قال تعالى فلا
وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت
ويسلموا تسليما الثالث وصف النبي صلى الله عليه وسلم بانه ذو نقمات والمراد شدة
السطوة ووقوع البأس على الكفار والاغلاظ لهم في القول وعدم الضراعة لهم ايثارا
بامره تعالى حيث قال يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم الا وقد
وصفه تعالى بالرافة للمؤمنين والرحمة فقال بالمؤمنين رؤف رحيم وفي حديث
عايشة رضي الله عنها وما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه الا ان تنتهك
انتهكت حرمات الله تعالى وما ضرب بيده شيئا قط الا ان يجاهد في سبيل الله
تعالى الرابع وصف وصفه صلى الله عليه وسلم بان قوله الفيصل وهو محتمل الامرين
احدهما ان يكون المراد انه اذا قال قولا من وعد او وعيد لابد وان يقع وكان
كذلك النبي صلى الله عليه وسلم وقد اخرج ابو داود من رواية عبد الله ابن الحمسا
قال بايعت النبي صلى الله عليه وسلم قبل ان يبعث وبقيت له بقية فوعدته ان
اتيها في مكانه فنسيت ثم تذكرت بعد ثلاث فجئت فاذا هو في مكانه فقال يا فتى
لقد شققت علي اني هنا انتظرك ثلاث مرات ثلاث ويروى ان ابي ابن خلف
كان يقول للنبي صلى الله عليه وسلم حين اقتدى يوم بدر عندي فرس اعلفها كل يوم
فرقا من ذرة اقتلك عليها فقال له النبي صلى الله عليه وسلم انا اقتلك ان شاء الله تعالى
فلما كان يوم احد قال اين محمد لا نجوت ان نجى وشد على فرسه وقصد رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاعترضه رجال من المسلمين فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم هكذا
اي خلوا طريقه وتناول الحربة من الحارث ابن الصمة فانتفظ بها انتفاظة تطايروا
عنه تطاير الشعر عن ظهر البعير اذا انتفض ثم استقبله النبي صلى الله عليه وسلم
فطعنه في عنقه طعنة ترد منها عن فرسه مرارا وقيل كسر ضلعا من اضلاعه فرجع
الى قريش يقول قتلني محمد وهم يقولون لا باس عليك فقال لو كان بابي بجميع
الناس لقتلهم اليس قد قال انا اقتلك والله لو بسق علي لقتلني فمات بالطريق
في قفولهم الى مكة الثاني انه اذا اسطا لا يثبت شيء لسطوته فقد ورد انه
صلى الله عليه وسلم كان اذا غضب ولا يغضب الا لله لم يقم لغضبه شيء
والله تعالى

بان ايد بها

وابده تعالى علم بالصواب

البيت الرابع والاربعون

لذاك اهيب عندي اذ اكلمه ٭ وقيل انك منسوب ومسئول

البيت الخامس والاربعون

من خادر من ليوث الاسد مسكنه ٭ من بطن عثر غيل دونه غيل

الاشارة في قوله لذاك النبي صلى الله عليه وسلم واهيب معناه اشد هيبة ويروى
ارهب وقوله اذ اكلمه اي حال كلامي له ويروى ان يكلمني وقوله انك منسوب اي
انك مطلوب بالاعراب عن نسبك وقوله مسئول عما نقله وقد تقدم في اول الشرح
انه من بني مضر بيته وقوله من خادر اي اهيب عندي من ليث خادر بالخاء المعجمة
والدال المهملة المكسورة والمراد الليث الداخل خدره والليوث جمع ليث وهو الاسد
ومسكنه موضع سكنه وعثر بفتح العين المهملة وتشديد الثاء المثلثة المفتوحة
وراء مهملة في اخره اسم مكان ويروى ببطن عثر والغيل بالغين المعجمة وسكون
الياء المثناة من تحت شجر ملتف يشبه الاجمة من القصب ياوي اليه الاسد
وقوله غيل دونه غيل اي اجمة داخل اجمة التقدير لذلك اهيب عندي من ليث
خادر ويروى من ضيغم من ضرغام الاسد من اسماء الاسد والضرغام بضم الضاد المعجمة
وتشديد الراء المهملة مع المد جمع ضغار وهو الكاسر اخذا من قولهم ومعنى البيت
انه لما كلم النبي صلى الله عليه وسلم الذي مقامه بين يديه الذي تقدمت الاشارة اليه
وقد اخبر ان النبي صلى الله عليه وسلم تكلم معه في نسبه ومن اي قبيلة هو ومسايله
عما وشي في حقه النبي صلى الله عليه وسلم ليطالبه بالخروج منه اشتدت هيبته عليه
في خطابه وعظم في نفسه وقع كلامه حتى وهنت قواه داخل الروع واشتدت
به الرهبة اكثر مما تداخله الهيبة من الاسد وقد اشتمل البيت على ثلاثة مقاصد
المقصد الاول هيبة النبي صلى الله عليه وسلم ليطالبه بالخروج منه وحقيقة ذلك
فقد تقدم من وصفه صلى الله عليه وسلم انه اذا تكلم اطرق جلساؤه كانما على رؤسهم
الطير وخص الهيبة بالاسد اشارة الى انه اعظم الحيوانات هيبة حتى يقال ان
الانسان بمجرد رؤيته لا يستطيع الفرار من كثرة الخوف فان قيل لم خص الهيبة
الواقعة عند مجالسة الكلام فالجواب انما اختص صلى الله عليه وسلم في الكلام

والضيغم صح

معه ما هو متوقع الكلام من مبالغة في مزيد الهيبة قايمة في هذه الحالة كان ذلك
دليل عظم الهيبة ووفور الحرمة بكل حال فان قيل ما المعنى في سالت عن نسبه واي
غرض يتعلق بذلك فالجواب ان ذلك من باب التوبيخ والتقريع له اذ كان اوي الي
قبيلة مزينة المجرمة من النبي صلى الله عليه وسلم فابت ذلك على ما تقدم ذكره في اول الشرح
وكانه يقول له قبيلتك التي يجيرك على قومك الذي يعصونك مني قد تبرؤا منك
وتخلوا عنك فان قيل لم وصف الاسد بالخادر والشجاعة تقتضي الزفير فالجواب عنه
من وجهين الجواب ان الاسد في الوحوش كالملك في الادميين كلما كان مختفيا عن العيون
كان اشد هيبة ووقعا في النفوس ولذلك لا تزال الملوك تحتجب على الرعية ليعظموا
في نفوسهم ولو خالطوهم او قربوا منهم لهانوا عليهم والثاني اذا الزم الخبا ازداد
توحشه فتعظم جراته واقدامه فان قيل اذا كان الليث اسما للاسد صار التقدير
بذلك اهيب من خادر من اشد الاسد ولا معنى له فالجواب ان الليث اسم للاسد
تقييد الجلادة كما ان الحسام اسم للسيف نصفة الجسم وهو القطع يقال رجل ليث
اذا كان شديد الجلادة وحينئذ فيكون بين الليث والاسد مغايرة ما ويكون
لذلك اهيب عندي من خادر من اجلد الاسد واقواهم فان قيل لم خص هذا الاسد بسطى
عثر فالجواب انه مكان معروف بالاسد فان قيل ما المعنى في جعله في غيل ولا يكون
مختفيا في مكان داخل مكان الا الشديد الخوف فالجواب انه قد تقدم ان الاسد
كالملك كلما كان مختفيا كان ابلغ في هيبته ومقتضى ذلك انه كلما ازداد اختفاؤه اشتدت
هيبته والله تعالى الموفق للصواب واليه المرجع والمآب

وعظم الحرمة اذ الرجل الجليل اذا احتفى في مخاطبته من لا يود ونه سكن جانبه ودهشهم وهم فاذا كانت الهيبة قايمة

البيت السادس والاربعون

يغدو فيلحم ضرغامين عيشهما ٭ لحم من القوم معفور خرادیل

قوله يغدو من الغدو وهو الذهاب في اول النهار وقوله فيلحم بفتح الياء وسكون اللام
وفتح الحاء وميم في الاخر ويجوز فيه ضم الياء ايضا والاول افصح والمراد يطعم اللحم والمراد
بالضرغامين ولداه وهما تثنية ضرغام بكسر الضاد وسكون الراء وفتح الغين المعجمة
والف ثم ميم قال ابن الاثير وهو الاسد الضاري الشديد الاضلام والمعنى انه يطعم
ولديه اللحم الاتي ذكره وقوله عيشهما لحم من القوم عيش الضرغامين المذكورين لحم من
القوم والمراد بالعيش القوت وبالقوم الرجال وقوله معفور اي اللحم المذكور
معفور

معفور وهو بفتح الميم وسكون العين المهملة وضم الفاء وسكون الواو وراء مهملة
في الاخر الملقا على العفر بفتح العين والفاء وهو التراب وقوله خراديل بفتح الخاء
المعجمة والراء المهملة والف بعدها وكسر الدال المهملة وسكون الياء للشاة تحت ولادم
في الاخر وهو القطع الصغار ومعنى البيت ان الاسد لشدته في الهيبة وشجاعته
لا يطعم ولديه الا لحم بني ادم ولشدة ضراوته يقطعه قطعا صغارا ويعفره في التراب
كانه غير متربة بالادميين واذا كان كذلك حقيقا بان يهاب فان قيل لم خص
وصف ذهابه الى الاصطياد بالغدو وهو اول النهار فالجواب ان ذلك ابلغ في الضراوة
من حيث انه لا يختطف الادمي ليلا وهو نايم وانما ياتيه في النهار وهو مواجهه
وهو في تشاطه وقوته لم يتعب معه في الحركة وفي اول النهار اقوى والحركة بعد فاخر
النهار فان قيل لم ذلك ذكر اولاده بلفظ التثنية بحيث قال ضرغامين ولم
يقتصر على واحد ولم يزد على اثنين فالجواب انه اذا لم يقتصر على واحد لان في الطعام
زيادة شجاعة على طعام الواحد بكثرة الاصطياد واما عدم زيادته على الاثنين
فعلى الاثنين اكثر ما يولد الاسد فان قيل اذا كان الضرغام اسما للاسد الضاري
كما تقدم فكيف ساغ ان يصف شبلي هذا الاسد بهذا الوصف فالجواب
انه يجوز ان يكون نافذ كبر اوي لما حيث صار اسدين كاملين وهو معنى ذلك
لضراوته وشجاعته لا يكل فهما اليه السعي والاصطياد ويكون اهتياجهما حينئذ
الى الطعام اكثر فيكون ابلغ في شجاعته واصطياده وان قيل لم خص طعمهما باللحم
الادمي فالجواب ان الادمي اشد جراة واكثر مدافعة من غيره من ساير الحيوانات
مع ما خص به من العقل الذي يحصل به التحيل والخلاص والهرب خصوصا وقد خص
ذلك بلحم القوم الذين هم جماعة من الرجال مبالغة في الشدة والقوة فان قيل لم وصف
اللحم بكونه ملقى على التراب وكونه قطعا صغارا فالجواب ان القاه على التراب دليلا
على عدم اكتراث به كما تقدم وربما دل على الشبع والعباقة على اكل اللحم لكثرته كما
في قول امرئ القيس يصف عقابا

كان قلوب الطير رطبا ويابسا ٭ لدى وكرها العناب والحشف البالي

يعني انما لكثرة اصطيادها تصيد قلوب الطير ملقاة حول وكرها رطبا

الشديد

ويابسا لعيافتها عن اكلها واما كونه قطعا صغارا فيحتمل ان ذلك لشرة الجرائم
كما تقدم اشارة فيه ويحتمل ان يفعل ذلك من باب الحنو على اولاده ليسهل عليهم الاكل
والله تعالى اعلم

البيت السابع والاربعون

اذا ايسا ورقرنا لا يحل له ان يترك القرن الا وهو مفلول

قوله اذا ايسا ورقرنا اي يوابثه بمعنى ان شبت كل منهما على الاخر وهو بضم
اليا المثناة تحت من يساور وفتح السين المهملة والف بعدها وكسر الواو وراء
مهملة في الاخر والقرن بكسر القاف وسكون الراء المهملة ونون في الاخر المراد به
المقاوم في الشجاعة وقوله لا يحل له ان يترك القرن الا وهو مفلول اي لا يليق
له بمعنى ان يمنع نفسه من النكوص والهرب حتى كانه يحرم عليه والمفلول بفتح الميم
وسكون الفا وضم اللام وسكون الواو ولام في الاخر المكسور المهزوم واصل
الفلل الكسر ومنه فلل الحسام وهو ثلم حده ويروى الا وهو مجدول بفتح الميم
وسكون الجيم وضم الدال المهملة وسكون الواو ولام في الاخر والمراد الملتقي
بالجدالة وهي الارض ومعنى البيت ان هذا الاسد لا يليق به مع مقاومته في
الشجاعة لا يستحسن في طريق الشجاعة ان يعرض عنه حتى يكسره ويهزمه على الرواية
الاولى ويدعه جريحا ملقا على الرواية الثانية واذا كان على هذه الصفة كان جديرا
بان يهاب وقد وقعت فيه المتابعة في الشجاعة من وجهين الوجه الاول انه
لا يساور ضعيفا ولا جبانا بل من يقاومه في الشجاعة ويساويه في القوة
وهو حقيقة الشجعان في الحرب حتى كان احدهما اذا بارز من هو دونه في الشجاعة
لا يبرز له ولا يقابله الوجه الثاني انه يربو بنفسه عن ان يعرض عنه او
يولي حتى يقهره ويغلبه وهذه اتم حالات الشجعان وكذلك كان من خصايصه
صلى الله عليه وسلم انه لا يجوز له ان يولي على العدو ولو كانوا الوفا ولم يعرف انه صلى
الله عليه وسلم ادبر يوما في الحرب ولا ولى والله الموفق للصواب

البيت الثامن والاربعون

منه تظل سباع الجو ضامرة ولا تمشي بواديه الارابجل

قوله منه تظل سباع الجو ضامرة اي من ذلك الاسد تظل بفتح التا المثناة فوق
والظا

والظا ومعناه لا تزال والسباع جمع سبع وهو في الاصل اسم الحيوان كاسر
ثم غلب في الاستعمال على الاسد والجو اسم الواسع على ما فسره به ابن هشام والضامرة
بالضاد والزاي المعجمتين الساكنة وقوله تمشي بضم التا المثناة وفتح الميم وتشديد
الشين المعجمة المكسورة بمعنى تمشي وقوله بواديه اي في واديه الا رابجل جمع رجال
والا رجال جمع رجل ومعنى البيت ان الاسد لشجاعته لا تزال سباع البر ساكنة
من هيبته والرجال لا تمشي بواديه خوفا منه وحذرا وهذا اعني ما يكون من الهيبة
والشجاعة وهو ان يهابه جنس السباع حتى لا تستطيع حركة منه خوفا وحذرا
وغير جنسه من بني ادم الذين هم اشد جراة واقداما من سائر الحيوانات لا يستطيع
احد منهم ان يمر بالوادي الذي هو مقيم فيه فان قيل هل يجوز الحوفي كلامه بما بين السما
والارض انه لا يمتنع ذلك وان خطاه ابن هشام في شرحه لانه قد يراد سباع الجو
الطيور الكواسر كالنسر وغيره ويكون ذلك مبالغة في الشجاعة وهو ان يخاف سباع
الطير التي هي ممتنعة عنه باجنحتها فالظن بسباع الوحش التي هي ساكنة معه في
البر والله تعالى اعلم بالصواب

الجواب

البيت التاسع والاربعون

ولا يزال بواديه اخو ثقة مطرح البز والدرسان ماكول

قوله ولا يزال بواديه اخو ثقة اي بوادي ذلك الاسد والمراد باخي الثقة الواثق
بنفسه في الشجاعة وقوله مطرح البز بضم الميم وفتح الطا وتشديد الرا المهملة
المفتوحة وحا مهملة في الاخر والبز بفتح البا الموحدة وبالزاي المعجمة المراد به
هنا السلاح والدرسان الثياب الخلقة المقطعة وقوله ماكول اي مطرح ماكول
ومعنى البيت هذا الاسد المشبه به لم يزل يربي في واديه من يثق بنفسه في
الشجاعة وهو ماكول وسلاحه واخلاق ثيابه مطرحا حاد حوله وكانه لا يولع
الا بالشجعان ولا يلتفت الى من عداهم والله اعلم بالصواب

البيت الموفي خمسون

ان الرسول لسيف يستضاء به مهند من سيوف الله مسلول

لما فرغ من وصف الاسد جعل هيبته من رسول الله صلى الله عليه وسلم اشد من هيبته
له رجع الى تمام مدحه للنبي صلى الله عليه وسلم قال التبريزي وجعله سيفا
استعارة قال ابن هشام وليس كذلك وانما سمي مثل هذا عند اهل البيان

تشبيها موكدا قال والمراد يستضاء به يهتدي به ويروي ان الرسول لنور يستضاء به
قال ابن هشام وهو حسن والمهند بفتح الميم وفتح الهاء وتشديد النون المفتوحة
ودال مهملة في الاخر المنسوب الى الهند فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم من سيوف
الله مسلول والمسلول المصلت من غمده ومعنى البيت انه صلى الله عليه وسلم
في الاقتداء به الى الحق كالسيف المهند المسلول وذلك انه كان من عادة العرب انهم اذا
ارادوا استدعاء من حولهم من القوم في ليل او في نهار شهروا السيف الصقيل
وبرق به فتظهر لامعة على بعد فيأتوا اليه مهتدين بنوره وموتمين بهديه
والنبي صلى الله عليه وسلم لما جاء بالنور المبين والمعجزات الظاهرة ودعا الناس
اليه اتوا مهتدين بنوره الساطع وموتمين بضياه اللامع وقد ورد بهذا المعنى
في القران يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه
وسراجا منيرا فشبهه بالسراج المنير عند ما وصفه بكونه داعيا وقد ورد في رواية
ابن الانباري ان كعب رضي الله عنه لما وصل في انشاده الى هذا البيت رمى رسول
الله صلى الله عليه وسلم اليه بردة كانت عليه وان معاوية بذل له فيها عشرة الاف
درهم فقال له ما كنت لاوثر بثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم احدا غيري فلما
مات كعب بعث معاوية الى ورثته بعشرين الفا فاخذها منهم وهي البردة
التي كانت عند الخلفا من بني امية وبني العباس رضوان الله عليهم اجمعين

البيت الحادي والخمسون

في فتية من قريش قال قايلهم ببطن مكة لما اسلموا زولوا

قوله في فتية من قريش والفتية بكسر الفاء وسكون تاء التانيث وفتح اليا
المثناة تحت جمع فتى ومنه قوله تعالى وقال لفتيته اجعلوا بضاعتهم في رحالهم
ويروى في عصبة وهي الجماعة من الناس ما بين العشرة والاربعين وقريش
اسم قبيلة وقد اختلف في ابيها فذهب قوم الى ان النضر ابن كنانة والراجح عند
اهل النسب انه فهر ابن مالك ابي النضر المذكور وقوله قايلهم معناه قال قايل
تلك الفتية القبيلة وبطن مكة واديها ومكة اسم البلد الحرام ويقال لها ايضا
بكة بابدال الميم باء وبها جاء القران الكريم قال تعالى وهو الذي كف ايديهم عنكم
وايديكم

وايديكم عنهم ببطن مكة وقال جل وعز ان اول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا
وقيل بالميم لحرم كله وبالباء المسجد وقيل بالباء اسم لموضع الطواف خاصة وقوله لما
اسلموا اي ادخلوا دين الاسلام وقوله زولوا اي هاجروا عن مكة الى المدينة لما فرغ
من مدح النبي صلى الله عليه وسلم اخذ في مدح المهاجرين من اصحابه رضي الله تعالى عنهم
وعبر عنهم بقريش لان غالب الصحابة كلهم منهم والمعنى انه لما اسلم بمكة من قريش
من اسلم اختاروا الهجرة من اوطانهم بمكة والخروج منها الى غيرها من البلدان ليفروا
بدينهم وقد اتفق المورخون واصحاب السير ان اول من اسلم خديجة بنت خويلد
زوج النبي صلى الله عليه وسلم ثم اختلف فيمن اسلم بعدها فقيل علي ابن ابي طالب وعمره
سبع سنين وقيل عشرين سنة وقيل احدى عشر سنة وكان في حجر رسول الله صلى
الله عليه وسلم قبل الاسلام يربيه ثم اسلم بعد علي زيد ابن حارثة مولى رسول الله صلى
الله عليه وسلم وكان قد اشتراه واعتقه ثم اسلم بعد ذلك ابو بكر الصديق رضي الله
عنه وقيل اول من اسلم ابو بكر الصديق ثم اسلم بعده عثمان ابن عفان وعبد الرحمن ابن
عوف وسعد ابن ابي وقاص والزبير ابن العوام وطلحة ابن عبيد الله ثم عبيدة ابن الجراح
وعبيدة ابن الحارث وسعد ابن زيد بن عمرو بن نفيل وعبد الله ابن مسعود وعمار
ابن ياسر ثم اسلم حمزة ابن عبد المطلب بعده وهو الباعث لهم بالهجرة والجاة لهم عليهما
فاليه الاشارة بقوله في البيت قال قايلهم وهذا البيت في الحقيقة مدح والله اعلم بالصواب

البيت الثاني والخمسون

زالوا فما زال انكاس ولا كشف عند اللقا ولا ميل معازيل

وقوله زالوا اي ذهبوا يقال زال يزول اذا ذهب وقوله فما زال انكاس اي فما
ذهب انكاس ولا كشف والانكاس بفتح الهمزة وسكون النون وسين مهملة
في الاخر جمع نكس بكسر النون وهو الرجل الضعيف الهمة شبيه بالمنكوس السهام
وهو الذي انكس فوقه فجعل اعلاه اسفله والكشف بضم الكاف والشين المعجمة
وفاء في الاخر جمع اكشف وهو الذي لا ترس معه في الحرب وقوله ولا ميل معازيل
اي لما زال ايضا ميل معازيل والميل بكسر الميم وسكون اليا المثناة ولام في
الاخر جمع اميل وله معنيان كل منهما يصلح هنا احدهما ان الذي لا سيف معه

الثاني الذي لا يحسن الركوب ولا يستقر على السرج والمعازيل بفتح الميم والعين
المهملة والزاي ثم زاي مكسورة ويا مثناه ساكنة ولام في الاخر جمع معزال
بكسر الميم وهو الذي لا سلاح معه والمشهور فيه اعزل ومنه سمي النجم المشهور
بالشمال لمقابلة الشمال والرامح والرمح في هيئة رجل بيده رمح والاعزل لا رمح
معه وقال المصري في ذلك

لا تطلبن بغير حظ مرتبة ۞ قلما البليغ بغير حظ معزل
سكن السما كان السما كلاها ۞ هذا الرمح وهذا اعزل

ومعنى البيت انهم زالوا من بطن مكة ولم يكن منهم من هذه صفته بل كانوا
اقوياء ذوي سلاح فرسان عند اللقاء والمدح فيه من وجهين الوجه الاول
انهم خرجوا من اوطانهم وفارقوا احبتهم من الاهل والولد فرارا بدينهم
مع ما في ذلك من المشقة وبالعظمة الامن وفي بوقاية الله تعالى وناهيك
بان الله تعالى قد رجح خروج الانسان من بيته بقتل نفسه فقال جلت قدرته ولو انا
كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم او اخرجوا من دياركم ما فعلوه الا قليل منهم
وكفى بذلك مبالغة وشدة في فراق الوطن ومفارقة المنزل المالوف الوجه
الثاني انهم لم يخرجوا من مكة عن خوف ولا قتال اذ كانوا اقوياء ذوي هيئة للحرب
والقتال وانما خرجوا لطاعة الله ورسوله واعلم ان للمهاجرتين هجرتين الاولى الى
ارض الحبشة منهم جماعة واقاموا في جوار النجاشي وذلك انه لما اشتد اذى
قريش النجاشي بمن اسلم بمكة اذن رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن ليست له عشيرة
تحميه بالهجرة الى ارض الحبشة فهاجر فاحسن نزولهم وعاملهم بالكرامة وكان من
جملة من هاجر منهم الى ارض الحبشة على التتابع ثلاثة وثمانون رجلا منهم
عثمان ابن عفان والزبير ابن العوام وعثمان ابن مظعون وعبد الله ابن
مسعود وعبد الرحمن ابن عوف وجعفر ابن ابي طالب وجماعة من النسوة
منهم رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم مع زوجها عثمان بن عفان
وارسلت قريش الى النجاشي في طلبهم وهاددوه على ذلك فلم يمكن منهم
الهجرة الثانية الى المدينة الشريفة وهي التي بني عليها التاريخ الاسلامي
وكان

وكان ابتداء امرها ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يعرض نفسه على القبائل في مواسم الحج ويدعوهم
الى الله تعالى ويقول يا بني فلان اني رسول الله اليكم ان تعبدوا الله وحده ولا تشركوا
به شيئا وان تخلعوا ما تعبدون من دونه ان تؤمنوا بي وتصدقوني فاتفق ان
خرج من الموسم فلقي ستة رجال من الخزرج من اهل المدينة فاعرض عليهم الاسلام
وتلى عليهم القران فامنوا به ثم انصرفوا الى المدينة فدعوا قومهم الى الاسلام فاسلم
منهم الكثير وفشى الاسلام فيهم ولم يبق دار الا وفيها ذكر الرسول صلى الله
عليه وسلم فلما كان في العام الاخر لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم بالموسم اثني عشر رجلا
من الانصار فبايعهم على ان لا يشركوا بالله شيئا ولا يسرقوا ولا يزنوا ولا يقتلوا
النفس التي حرم الله قتلها الا بالحق وبعث معهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
مصعب ابن عمير ابن هاشم ابن عبد مناف ابن عبد الدار فعلمهم شرايع الاسلام
والقران فلما قدم مصعب المدينة ودعا من بها الى الاسلام كان ممن اسلم على يديه
سعد ابن معاذ سيد الاوس وحمل قومه على الايمان بالنبي صلى الله عليه وسلم فامنوا به
على اثرهم وفشا الاسلام بالمدينة حتى لم يبق فيها دار من دور الانصار الا ودخلها
الاسلام ثم عاد مصعب ابن عمير الى مكة بعد ذلك في ثلاثة وسبعين رجلا ممن اسلم
من الانصار بعضهم من الاوس وبعضهم من الخزرج فاجتمعوا بالنبي صلى الله عليه وسلم
عند العقبة ومعه عمه العباس قبل ان يسلم فاستوثق منهم العباس للنبي صلى الله
عليه وسلم حتى انهم لا يخذلونه ولا يسلمونه فقالوا له انا ان قتلنا دونك
يا رسول الله قال الجنة قال فابسط يدك لنبايعك فبايعوه على ذلك وانصرفوا
راجعين الى المدينة وامر رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه بالهجرة الى المدينة
فخرجوا متتابعين واقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ينتظر حتى ياذن له
ربه في الخروج من مكة ومعه ابو بكر الصديق وعلي ابن ابي طالب ثم خرج النبي
صلى الله عليه وسلم من مكة ليلا ومعه ابو بكر الصديق واقام بغار جبل ثور بعلوة
اسفل مكة ثلاثة ايام ثم خرجا من الغار وتوجها الى المدينة وجدت قريش
في طلبهما فلحقهما سراقة ابن مالك المدلجي فدعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم
فغاصت فرسه في الارض الى بطنها فرغب النبي صلى الله عليه وسلم ان يسال الله
في خلاصه ففعل فتركهما ورجع ورد كل من لقيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

وبقا على بعد النبي صلى الله عليه وسلم بمكة الى ان ادي ودايع الناس كانت عند النبي
صلى الله عليه وسلم ثم قدم المدينة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم كان بعد ذلك
فتح مكة وغيرها

البيت الثالث والخمسون

شم العرانين ابطال لبوسهم * من نسج داود في الهيجا سرابيل

قوله شم العرانين ابطال لبوسهم في الهيجا سرابيل من نسج داود والشم بضم الشين
المعجمة جمع اشم وهو الذي في قصبة انفه علو مع استواء اسفله والعرانين جمع
عرنين وهو الانف والابطال جمع بطل وهو الشجاع الذي يبطل الدما وتذهب
هدرا ولا يدرك عنده الثار واللبوس بفتح اللام ما يلبس من السلاح ومنه قوله
وعلمناه صنعة لبوس لكم وينسج المنسوج وداود النبي صلى الله عليه وسلم
والمراد بنسجه الدروع والسرابيل جمع سربال والهيجا من اسماء الحرب ومعنى البيت
انهم في الناس ذوو رفعة وعلو مقدار وفي الحرب في غاية الشجاعة ومنعة من
السلاح وقد وقع المدح لهم من ثلاثة اوجه الاول كونهم شم العرانين
وهو محتمل المعنيين احدهما ان يكون شم العرانين التي هي الانوف حقيقة وهو
من الاوصاف الحميدة في تكوين خلق الانسان وقد جاء في وصف النبي صلى الله عليه وسلم
انه كان اشم العرانين والثاني ان يكون استعار ذلك برفعة القدر والعلو لانه
يقال ذلك للرجل المرتفع في انفه شمم يجوز ان يقال ذلك لارفيع القدر في نفس
الامر الوجه الثاني كونهم ابطال وهو من اوصاف الشجعان المبرزين في الشجاعة
ولا شك ان الشجاعة من احمد الاوصاف التي يمدح بها ويقع الاطراب بسببها
وفيه تقرير لما تقدم من معنى البيت الذي قبله من انهم لم يخرجوا من مكة عن ضعف
ولا مهانة وانما خرجوا لطاعة الله ورسوله الوجه الثالث ان لبوسهم في الحرب
كانت من اصنع الدروع وامنعها لانه اضافها بنسج داود نبي الله صلوات الله عليه
لا شك ان درعه احكم الدروع صنعة وحصانة لين الحديد له وصدور تعليمه
له من قبل الله تعالى قال تعالى وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من باسكم
فهل انتم شاكرون وقال واسل سبغات وقدر في السرد وفيه اشارة الى امتثال امر الله تعالى بقوله واعدوا لهم ما استطعتم من
قوة

قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم الاية فان قيل كيف حسن مدحهم
بلبس الدروع والقتال دون لبسها اعلا في مرتبة الشجاعة وقد انكر عبد الملك ابن مروان
على كثير حين امتدحه بقوله شعر

علي ابن ابي العاص دلاص حصينة * اجاد السدي نسجها فاذاتها
يوم ضعيف القوم حمل فتيه * ويستطلع القوم الاسم احتمالها

ولم يمدحه بمثل قول الاعشا في قيس ابن معدي كرب

واذا اتى كتيبة ملمومة * شهباء يخشى الرايدون مآلها
كنت المقدم لا لابس جبة * بالسيف تضرب معلما ابطالها

فالجواب ما اجاب به كثير عبد الملك من قوله يا امير المؤمنين قد وصفتك بالحزم
ووصف الاعشا صاحبه بالجنون على ان بعض الشعرا رجح قول كثير من حيث
ان المبالغة في المدح احسن من الاقتصار على الامر الاوسط واما ما وقع من كثير لعبد
الملك فهو من باب المبالغة وفيما قاله يزيد تنظير الحزم فان الحزم دليل القوة الذي
هو اشرف ما مدح به من الخصال الشريفة ومن تمام الحزم الاحتراز كما اشار اليه كثير
وكذلك امر الله في قوله تعالى خذوا حذركم واسلحتكم فيكون المدح بلبس الجبة
اتم ولذلك ذهب اليه كعب في مدح المهاجرين والله الموفق للصواب

البيت الرابع والخمسون

بيض سوابغ قد شكت لها حلق * كانها حلق القفعا بجدول

قوله بيض سوابغ والبيض بكسر الباء جمع ابيض والمراد المجلوة والسوابغ بالسين المهملة
والغين المعجمة جمع سابغ والمراد الطول السوابل وقوله قد شكت لها حلق بضم الشين
المعجمة شكت اي دخل بعضها في بعض ويروى سكنت اي بالسين المهملة اذا ضيقت
والحلق بفتح الحاء المهملة واللام جمع حلقة باسكان اللام وخالف الاصمعي فكسر الحاء
من حلق وخالف ابو عمرو فتح الحا من حلقة والصحيح عند المحققين ما تقدم فيهما
وقوله كانها اي تلك الحلق والحلق الثانية كالاولى والقفعا بفتح القاف وسكون
الفا بعدها وبالعين المهملة وبالمد شجر ينبت على وجه الارض متداخل بعضها في بعض
فشبه به حلق الدروع والجدول بفتح الجيم الصنعة ومعنى البيت ان

دروعهم بحلوق صافية طويلة مستحكمة متشبكة الصنعة ودخلت بعضها
في بعض اشد تداخل ويكون المدح قد وقع فيهم من ثلاثة اوجه الوجه الاول انهم مستقبلون
الحرب لان الحديد لان الحديد كلما استعمل انصقل وابيض ولم يركبه الصدا بخلاف ما اذا
نزل بلا استعمال فانه يسود ويركبه الصدا الوجه الثاني انهم في غاية القوة لان الدروع
اذا كانت طويلة تامة كانت اثقل ضرورة وحملها في الحرب مع ثقلها يدل على الشدة
والقوة الوجه الثالث انهم اعتنوا بالة الحرب بحيث لم يتخذوا منها الا المحكم الصنعة
العزيز الوجود

البيت الخامس والخمسون

• لا يفرحون اذا نالت رماحهم • قوما وليسوا مجازيعا اذا نيلوا •

قوله لا يفرحون اذا نالت رماحهم الفرح معروف وكذلك الرماح وقوله نالت اي
اصابت والقوم تقدم انهم الجماعة من الرجال والمجازيع بفتح الميم والجيم وبزاي معجمة
وبسكون الياء المثناة وعين مهملة في الاخر جمع مجزاع بفتح الميم وهو الكثير الجزع
وهو الخوف وقوله نيلوا اي اصيبوا والمعنى انهم اذا اصابوا وغلبوا عدوهم لا يفرحون
واذا غلبوا منه لا يحزنون من لقايه ثانيا ويكون المدح قد وقع فيه من وجهين الوجه
الاول انهم كثيرون الظفر بالاعدا فاذا وقع لهم ظفر بعدو لا يفرحون به لان ذلك من
عاداتهم والفرح انما يقع بالشي النادر القليل الوقوع الوجه الثاني انهم كبيرون الاهم
وفيهم الصبر والجلادة على الحرب بحيث انهم اذا ظفر عليهم العدو وغلبهم لا يمنعهم ذلك من
ملاقاته مرة ثانية بضوفا وحزنا لقلة تغلبانهم بالخطوب وتاثرهم بمكابدة الحروب والله اعلم

البيت السادس والخمسون

• يمشون مشي الجمال الزهر يعصمهم • ضرب اذا عرد السود التنابيل •

وقوله يمشون مشي الجمال اي كمشي الجمال والزهر بضم الزاي المعجمة وسكون الهاء جمع
ازهر وهو الابيض وقوله يعصمهم اي يمنعهم والمراد انهم يمنعون انفسهم من العدو
عند اللقا ويصبرهم له وقوله عرد بفتح العين وتشديد الراء المهملة المفتوحة ودال
مهملة في الاخر معناه فر واعرض ويروي عزد بفتح العين المعجمة قال التبريزي
هو الطير الشديد الدفع من الطرب قال ابن هشام في شرحه ولا معنى لهذه الرواية والسود
جمع اسود وهو اللون المعروف والتنابيل بفتح التا المثناة ثم نون والف بعدها
ياء

باء موحدة مكسورة وياء مثناة ساكنة ولام وهي جمع تنبال والتنابيل القصار والمفرد تنبال
والتا فيه زايدة وهو احد ما جا من الاسما على فعال بالكسر كالتهمال والاكثر تمسح بالقصر
والتبراز والتفتار الموصوفين والتلقا والتقصار للقلادة المشبه بالخنفة ويقال تقصاره
ايضا جمعا تقاصير واذا كان التفعال مصدرا فهو بفتح الاول كالتجوال والتطواف الا
كلمتين التبيان والتلقا قال الله تعالى تبيانا لكل شي ويقول الغنية تلقا اي لقا وقوله
تعالى تلقا اصحاب النار فهو من باب الاسما والتصاير على الظرفية وقد حظي من ينشد قوله

• وما زال تشرب الخمور ولذتي • وبيعي وانفاقي طريفي ومتلدي •

بكسر التا والله اعلم بالصواب

البيت السابع والخمسون

• لا يقع الطعن الا في نحورهم • وما لهم عن حياض الموت تهليل •

وصفهم بانهم لا ينهزمون فيقطع الطعن في ظهورهم بل يقدمون على اعدائهم فيقطع
الطعن في نحورهم روي انه لما انشد هذا البيت نظر عليه الصلاة والسلام الى من كان
في حضرته من قريش ان اسمعوا ومثل هذا البيت قول الحصين ابن الحمام

• تاخرت استبقي الحياة فلم اجد • لنفسي حياة مثل ان اتقدما •
• فلست على الاعقاب تدمى كلومنا • ولكن على اقدامنا تقطر الدما •
• نفر فرارا من رجال اعزة • علينا وهم كانوا اعق واظلما •

يروي تقطر بالتا المثناة من فوق فالدم اما مفعول به لانه يقال قطر الدم وقطرته
والمعنى تقطر الكلوم الدم واما تمييز على ان الالف واللام زايدة كقوله

• رايتك لما ان عرفت وجوهنا • صددنا وطبت النفس يا قيس عن عمرو •

ويروي باليا المثناة من اسفل فالدما فاعل استعمله مقصورا وهو الاصل فيه وعليه
في التثنية دميان قال الشاعر • فلو انا على حجر ذبحنا • جرى الدميان بالخبر اليقين •
ولكن الاستعمال على الكثر فحذف لامه في الافراد والتثنية وقوله تهليل مصدر هلل اي الشي
اي تاخر عنه يقول لا يتاخرون عن حياض الموت اذا تاخر غيرهم عنها ونكص وعن
متعلقة بالتهليل فان كان مصدرا وقد مضى المفعول في نظير ذلك مرة والله اعلم
والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم تم شرح بانت سعاد بعون
الملك الجواد وقد كان الفراغ من هذه النسخة المباركة نهار الثلاثا

ثاني والعشرون من ربيع الثاني من شهور سنة ستة عشر ومايتين
والف احسن الختام على يد العبد الفقير المعترف بالذنب والتقصير الراجي
عفو ربه القدير الحاج حسن ابن المرحوم الحاج رجب الشهير بالدرهي غفر
الله له ولوالديه ولمن قرا فيه ونظر اليه وتامل معانيه ولا تنسى كاتبه من الفاتحة
ختم الله لي ولكل المسلمين بالاعمال الصالحة انه غني حميد فعال لما يريد
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم
والحمد لله رب العالمين امين امين
امين

BIBL.
VNIVERS.
LIPS.

52 foll.